الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي لميلة
معهد الآداب و اللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع.....

العلة النحوية عند ابن جني من خلال كتابه الخصائص

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس، في اللغة والأدب العربي.
تخصص: لغة عربية.

إعداد الطلبة:
* خير الدين بوقطة
* هشام فرحاتي

إشراف الأستاذ:
* عواريب سليم

السّنة الجامعية:2013/2012

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (26) وَاحْلُلْ
عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (27) يَفْقَهُواْ قَوْلِي (28)

سورة طه

تشـــــــــكر وتقديـــــــــر

أولا وقبل كل شيء في هذا الكون ننحني سجودا لله عز وجل خالقنا ورازقنا ومدبر شؤوننا عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته على منّه علينا، وتوفيقه لنا في إتمام وإنجاز هذه المذكرة.

فالشكر والحمد له دائمين أبدين ما دمنا على قيد الحياة ونسأله أن يوفقنا ويسدد خطانا وينور عقولنا بالفهم الصحيح والسليم إن شاء الله.

كما نتقدم بالشكر الجزيل الى الأستاذ المشرف (عواريب سليم) على صبره معنا في كل العراقيل والصعوبات التي كانت تصادفنا وتواجهنا، وعلى كل النصائح والتوجيهات التي قدمها لنا طيلة إنجاز هذا العمل المتواضع.

كما لا ننسى أو نفوّت الفرصة في أن نشكر كلا من: الأم الحبيبة والأب العزيز الغاليين على قلوبنا

* الأستاذ سليم مزهود وعبد الحميد بوفاس بالمركز الجامعي لميلة

* بالإضافة الى الأساتذة الآتية أسماؤهم: (الشلي لبنى، بن قارة زهية، بوقاقة سليمان، الشلي أحسن) الذين لم يبخلوا علينا بعلمهم الذي قدموه لنا بكل إخلاص، كما أخص بالشكر الجزيل شيخي ومعلمي الوفي بوشارب جمال على مجهوداته الجبارة التي كان يقدمها لنا بكل جدية وصرامة وعزيمة

* عمال وعاملات مكتبة المركز الجامعي لميلة، وكل الإداريين الذين ساعدونا في بحثنا هذا.

* طلبة المركز الجامعي لميلة الذين ساعدونا على إعارة الكتب وكل من ساعدنا ولو بكلمة طيبة، وإلى كل الأصدقاء الأوفياء على رأسهم: وليد كريوط، وليد بولقرون...

المقدمة

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين أمّا بعد:

إنّ اللّغة العربية شهدت عناية بالغة بنحوها من طرف فئة من العلماء تميزّوا عن غيرهم بالنّظر الثاقب والتّفحص الدّقيق، إذ وضعوا منذ أوائل القرن الثاني الهجري أصولاً وقواعد للنحو، وكان دافعهم إلى ذلك حاجة المتعربين الذين دخلوا الإسلام إلى تعلم القرآن الكريم ومعرفة دلالات ألفاظه ودقائق معانيه، ومن بين المواضيع التي اهتموا بها العلّة النحوية بكلّ أنواعها، فعمَد النُّحاة إلى الأخذ بمبدأ العلية بعد استفادتهم من الفلسفة والفقه وعلم الكلام، فلم يكتفوا بالعلل السطحية، بل بحثوا في خفاياها وكوامنها، ومن هذا كان موضوع دراستنا العلّة في النحو العربي من خلال كتاب الخصائص لابن جنّي الذي يعتبر مصدرا مهما للعلّة التعليمية.

ويرجع سبب اختيارنا لهذا الموضوع هو ميولنا لعلم النحو العربي وأصوله، ورغبتنا الملّحة في معرفة مثل هذه المصطلحات الغامضة المعقدة على حقيقتها، كما أنها تعدّ بالنسبة لنا من المواضيع التي تعلّمنا الدقة في التحليل والتركيز على القضايا الدقيقة.

أمّا هدفنا الذي نصبوا إليه من خلال بحثنا هو الإلمام بمجموعة من المعلومات المتعلقة بالعلّة النحوية وتقديمها بشكل بسيط من أجل أن يفهمها الباحث المبتدئ حتّى يتفاعل معها ويأخذ منها ما يحتاجه في دراسته وبحثه.

كما أن بعض الأسئلة شوشت فكرنا وشغلت أذهاننا وهي: ما هي العلّة؟ وفيما تتمثل أنواعها؟ وهل هناك اختلاف بين النحاة في تفسيرهم للعلّة؟ ومن هو أول من بسط القول في العلل؟ بالإضافة إلى سؤال آخر مهم وهو هل سيلقى بحثنا هذا قبولا لدى الدارسين والباحثين؟ وما هو المنهج الذي اتبعه ابن جنّي في دراسته لموضوع العلّة النحوية؟ وهل هذه الدراسة كانت ناجحة أم أنها تعرضت للقدح من طرف النحاة الذين عاصروه والذين جاؤوا من بعده؟ وما هي المميزات التي اتّسم بها ابن جنّي عن بقية النحاة الآخرين؟ وما هي الفروقات التي ظهرت أثناء دراستهم للموضوع؟ وغيرها من التساؤلات المحيطة بالموضوع والتي نأمل أن يوجد لها صدى من خلال بحثنا هذا.

وقد أوسمنا بحثنا هذا بخطّة جاءت كالآتي:

قسّمنا البحث إلى ثلاثة فصول، كان منها فصلان نظريّان أوّلُهما خصّص للتعريف بابن جنّي وكتابه الخصائص ففي تعريف ابن جنّي ذكرنا اسمه ونسبه ومولده ووفاته ونشأته وصفاته وشيوخه ومعاصروه وتلاميذه وأعماله ومؤلّفاته وكذا مذهبه النحوي والفقهي.

أمّا في تعريفنا لكتابه تناولنا: عنوانه هدف تأليفه ومباحثه ومنهجيته.

وثانيهما: خصص لمفهوم العلّة وأنواعها وتطورها عند النحاة، فهذان الفصلان أتبعناهما بفصل تطبيقي خصّصناه لبعض المسائل النحوية في العلل التعليمية التي استخرجناها من كتاب الخصائص لابن جنّي.

ولقد فرضت علينا طبيعة الموضوع أن نتبع منهجين هما: المنهج الوصفي والمنهج التاريخي.

وقد اعتمدنا في بحثنا على مصادر ومراجع عدة أهمها: الخصائص لابن جنّي، الإيضاح في علل النحو للزّجاجي، الإقتراح في أصول النحو للسيوطي، الكتاب لسيبويه.

وفي الأخير لا يسعنا إلاّ أن نتقدم بالشكر الجزيل لكلّ من أسهم في تزويدنا بالمعرفة وتحفيزنا على الدراسة والبحث سواء كانوا أساتذة أو مؤطرين أو عمّالا وموظفين وبخاصة قسم اللّغة العربية. كما نتقدم بالشكر والعرفان إلى الأستاذ المشرف الذي كان له الفضل الكبير في إنجازنا لهذا البحث حفظه الله ووفقه إلى خدمة العلم، وجزاه الله عنّا خير الجزاء، وله منّا عبارات التقدير والعرفان.

والله نسأل أن يوفقنا إلى المزيد في طلب العلم، ونرجوا منه أن يبارك في هذا العمل المتواضع.

الفصل الأول

ابن جني وكتابه «الخصائص»

المبحث الأول: ابـــــــــن جني

1- التعريف بابن جني

2- مذهـــب ابن جني

المبحث الثاني: كتاب الخصائص

1- التعريف بكتاب الخصائص لابن جني

المبحث الأول: ابن جني

1- ابن جني:

1-1 اسمه ونسبه:

هو عثمان بن جني بكسر الجيم وتشديد النون وسكون الياء معرب. كنى – الأديب الموصلي، أبو الفتح. كان أبوه –جني– مملوكا روميا لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدي الموصلي، ولا يعرف عن أبيه أين كان قبل مجيئه الموصل[1]. وفي هذا البلد العريق نشأ صاحبنا وترعرع وأخذ العلم عن مشايخه فقد كانت الموصل في زمانه حاضرة من حواضر العالم الإسلامي التي يشار إليها في العلم وكثرة المشايخ.

وهذا البلد كان يضم الكثير من دور العلم والمكتبات في المساجد وخارجها، بالإضافة إلى أن هذه الأماكن سهلت على الراغبين في العلم حيث إنها وفرت لهم الجو المناسب للمطالعة والانتساخ، وخاصة لغير القادرين منهم على اقتناء الكتب بسبب غلائها وندرتها في تلك العصور، ولذلك سارع الأغنياء والعلماء والأمراء والوزراء إلى تأسيس دور عامة للكتب أطلق عليها: "دور العلم"، فكانت معاهد عامة للدرس والانتساخ والترجمة والتأليف.

هذا كان شأن البلد الذي ولد فيه ابن جني أما البلد الذي توفي فيه فهو بغداد، عاصمة الخلافة العباسية وموئل العلماء والفقهاء والشعراء. لقد كان العراق في العصر العباسي أهم مكان للحركة العلمية في الدنيا لا سيما بغداد التي حصلت على شهرة علمية واسعة لا تدانيها في ذلك شهرة مدينة من مدن الإمبراطورية العباسية[2].

1-2 مولده ووفاته:

ولد في الموصل قبل سنة ثلاثمائة، وقيل قبل سنة ثلاثين وثلاثمائة، على اختلاف في تعيين سنة الميلاد، فقيل سنة 300هـ، وقيل سنة 322هـ وتوفي في بغداد سنة 392هـ[3].

---

[1] ابن جني: الخصائص، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان– ج1 ط2، 2003، ص 6.

[2] ناجي معروف: أصالة الحضارة العربية، ص 428.

[3] ابن جني: الخصائص، ج1، ص6.

1-3 نشأته ومؤلفاته:

نشأ ابن جني بالموصل، وأخذ النحو عن الأخفش أحمد بن محمد الموصلي الشافعي وقرأ الأدب في صباه على أبي علي الفارسي وسمع جماعة من المواصلة والبغداديين. كان ابن جني أعور، يقول له المترجمون: إنه كان ممتعا بإحدى عينيه كناية عن العور، وكان من عادته في الحديث الإشارة بيديه وشفتيه لأنه يعتقد أن الإشارة أبلغ في إيضاح المعنى وتبسيطه للسامع، فيقول هو في كتابه هذا: « وعلى هذا قالوا: رب إشارة أبلغ من عبارة» ، وقال الأستاذ محمد علي النجار في ترجمته لابن جني: « وقد يجوز أن ابن جني كان في لسانه لكنة لمكانه من العجمة من جهة أبيه، فكان يستعين على ايضاح ما يريد بالإشارة»[1].

وكان ابن جني رجل جد وامرأ صدق في فعله فلم يعرف عنه اللهو والشرب والمجون، وكان عفيف اللسان والقلم يتجنب البذيء من الألفاظ، ولم يكن همه رضاء الملوك ومنادمتهم كأدباء عصره.

1-4 شيوخه:

لقد كان ابن جني يتميز بذكاء حاد وعقل متفحص وبصيرة نافذة مما زادته من رفعة واحتلال مكانة عالية بين أوساط النحاة في القرن الرابع الهجري، ودليل ذلك كثرة مؤلفاته التي كانت منهلا غزيرا في العلم يغرف منه النحاة الذين جعلوا النحو محل دراستهم وبحثهم، ومما لا شك فيه أن هذا العلم لم يأت به ابن جني من فراغ، فأغلب كتب التراجم ترجع أكثر علمه إلى أبي علي الفارسي وتذكر أن لهذا الأخير فضلا على ابن جني، غير أن هناك شيوخا آخرين أخذ عنهم نذكر منهم:

[1] ابن جني: الخصائص، ج1، ص7.

أ- أحمد بن محمد الموصلي:

وهو الأخفش الخامس، ذكره السيوطي من بين أحد عشر نحويا يحمل هذا اللقب[1]، وذكر أن له كتابا اسمه تعليل القراءات، ولم تذكر الكتب التي بحوزتها تاريخ وفاته.

ب- أبو بكر بن محمد الحسين بن يعقوب العطار المقرئ:

المعروف بابن مقسم المتوفى سنة واحد وخمسين وثلاثمائة أو سنة خمسين وثلاثمائة للهجرة، كما ذكر النجار، وهو من تلاميذ ثعلب[2].

جـ- أبو علي الفارسي:

وإليه يرجع أكثر علم ابن جني حتى أصبح كأنه كاتب له ولازمه مدة أربعين سنة، « ولازمه في السفر والحضر وأخذ عنه وصنف كتبه في حياة أستاذه فاستجادها ووقعت عنده موقع القبول »[3].

د- أبو الفتح الأصبهاني: (صاحب الأغاني):

توفي سنة 356 هـ، وهو علي بن الهيثم القرشي...

وكان شاعرا مصنفا أديبا، ويروي الأصفهاني (بالفاء) مكان الباء إضافة إلى العديد من العلماء واللغويين وقد جاء ذكرهم في الخصائص، منهم أبو اسحاق إبراهيم بن أحمد القرمسيني (ت 337)، وأبو عبد الله محمد ابن العساف العقيلي التميمي الذي كان يذكره باسم أبي عبد الله الشجري، و أبو الحسن علي بن عمرو وأبو صالح السليل بن أحمد بن عيسى بن الشيخ، كما نجده في مواضع أخرى يعدد بعض شيوخه فيقول: « ولم نر أحدا من أشياخنا فيها كأبي حاتم و نبدار وأبي علي وفلان وفلان...»[4]، وغيرهم كثر ممن أوردهم من خلال رواياته عنهم في الخصائص، كما كان يروي عن كثير من الأعراب الذين لم تفسد لغتهم.

---

[1] السيوطي: المزهر في علوم اللغة وانواعها، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان– ج2، ط1، 1999، ص 386 –387.

[2] ينظر ابن جني: الخصائص، ج1، ص 14.

[3] ابن النديم: الفهرست، دار المعارف، بيروت –لبنان– ط1، 1994، ص 162.

[4] ينظر ابن جني: الخصائص، ج1، ص 80، 383، 387.

1-5 معاصروه:

كان القرن الرابع كما تقدم حافلا بالعلماء الذين بقيت أسماؤهم خالدة بما خلفوه لنا من آثار، ومن أشهر هؤلاء ممن عاصر ابن جني نذكر منهم:

أ- أحمد بن فارس:

اللغوي صاحب التصانيف الكثيرة الجليلة، ومن أشهرها معجماه المجمل والمقاييس وكتابه الصاحبي في فقه اللغة وسن العرب في كلامها، توفي سنة (395 هـ) خمس وتسعين وثلاثمائة هجري.

ب- اسماعيل بن حماد الجوهري:

لغوي من أئمة العربية من أشهر تصانيفه معجم الصحاح، توفي سنة ثمان وستين وثلاثمائة.

جـ- اسماعيل بن عباد:

المعروف بالصاحب وزير غلب عليه الأدب، له تصانيف جليلة منها معجمه المحيط، توفي سنة خمس وثمانين وثلاثمائة.

د- الحسن بن بشر الآدمي:

عالم بالأدب روى العديد من الكتب، من أشهر تصانيفه الموازنة بين البحتري وأبي تمام والمؤتلف والمختلف، توفي سنة سبعين وثلاثمائة.

هـ- الحسن بن عبد الله السيرافي:

أبو سعيد السيرافي نحوي عالم بالأدب، من أشهر كتبه شرح كتاب سيبويه وأخبار النحويين البصريين، توفي سنة ثمان وستين وثلاثمائة[1].

[1] ياقوت الحموي: معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ج1-3، ط1، 1993 ، ص 6، 54، 84، 266، 273.

و- الحسن بن عبد الله العسكري:

أبو أحمد العسكري فقيه، أديب، علت شهرته ورحل إليه الأجلاء للأخذ عنه، من أشهر كتبه شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف والمصون في الأدب توفي، سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة.

ز- أبو هلال العسكري:

الحسن بن عبد الله بن سهيل من علماء الأدب واللغة له جملة صالحة من الكتب أشهرها الفروق في اللغة وجمهرة الأمثال وكتاب الصناعتين النظم والنثر، توفي سنة خمس وتسعين وثلاثمائة.

م- علي بن عيسى الرماني:

أبو الحسن باحث ومفسر من كبار النحاة في زمانه له نحو مئة مصنف من أشهرها شرح كتاب سيبويه ومنازل الحروف والنكت في إعجاز القرآن، توفي سنة أربع وثمانين وثلاثمائة.

ط- علي بن محمد التوحيدي:

أبو حيان، نعته ياقوت بشيخ الصوفية وفيلسوف الأدباء من كتبه المقابسات، البصائر، الذخائر، الإمتاع والمؤانسة، توفي سنة أربعمائة.

ي- محمد بن أحمد الأزهري:

أبو منصور أحد الأئمة في اللغة والأدب، من أهم كتبه معجمه تهذيب اللغة توفي سنة سبعين وثلاثمائة[1].

[1] ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج1، 3، 5، 6، ص 126، 135، 280، 298، 380، 501.

1- 6 تلامذته:

من خلال اطلاعنا على شخصية ابن جني تبين أنه بدأ في التدريس شابا يافعا في الموصل، ثم انقطع الى أبي علي النحوي يأخذ عنه. ولا شك فى أنه حين تقدمت به السن، صار يفارق أبا على، حيث كان يذهب الى التدريس في مساجد الموصل وبغداد، و أن ناسا من طلبة العلم كانوا يأخدون عنه، ومن أشهرهم:

أ/ عمر بن ثابت الثمانيني:

من العلماء الفضلاء قال عنه ياقوت: « أبو القاسم الثمانيني النحوي الضرير، إمام فاضل وأديب كامل أخذ عن أبي الفتح بن جني، وكان خواص الناس في ذلك الوقت، يقرأون على أبي القاسم عبد الواحد بن برهان الأسدي، وعمومهم يقرأون على الثمانيني، مات الثمانيني في سنة 442هـ في خلافة القائم بأمر الله وهو منسوب الى سوق ثمانين بليد صغير بأرض جزيرة ابن عمر بأرض الموصل من ناحية قردي يقال إنها أول مدينة بنيت بعد الطوفان وسميت بذلك لأنهم زعموا أن الذين نجوا في السفينة كانوا ثمانين آدميا وله من التصانيف كتاب شرح اللمع، كتاب مفيد في النحو، وكتاب شرح التصريف الملوكي.[1]

ب/ عبد السلام بن الحسين البصري:

أبو أحمد، كان لغويا عالما بالقراءات، قارئا للقرآن، تولى بغداد حفظ الكتب في دار العلم، وكان يشرف عليها قرأ على ابن جني وعلى شيخه أبي علي، كما قرأ على أبي سعيد السيرافي، ولم يؤثر عنه تأليف، توفي سنة 405هـ.[2]

---

[1] – ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج2، ص46

[2] – ابن الأنباري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، مكتبة المنار، (د ط)، 1985، ص229– 231 وأنباه الرواة للقفطي، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، (د ط)، (د ت)ص 175

ج/ الحسين بن أحمد:

أبو عبد الله بن نصر، ذكره ابن جني في الإجازة التي أذن له فيها برواية مؤلفاته ونعته بالشيخ وقد أوردها في معجم الأدباء: « كتب ابن جني إجازة بما صورته: بسم الله الرحمن الرحيم قد أجزت للشيخ أبي عبد الله بن أحمد بن نصر آدم الله عزَّه أن يروي عنّي مصنفاتي وكتبي ممّا صحّحه وضبطه عليه أبو أحمد عبد السلام بن الحسين البصري أيّد الله عزّه »[1]

د/ أبو الحسن السمسمي:

علي بن عبيد الله بن عبد الغفّار السمسمي، أخد عن ابن جني كما أخد عن شيخه أبي علي، وعن أبي سعيد السيرافي[2] وكان لغويا ثقة، تصدر ببغداد للرواية، وإقراء الأدب، توفي سنة 415هـ[3] ولم يذكروا له تأليفا.

هـ/ علي بن زيد القاشاني النحوي:

قال عنه ياقوت: « أحد أصحاب أبي الفتح ابن جني وجدت بخطه ما كتبه في سنة 411هـ وهو صاحب الخط الكثير الضبط المعقد، سلك فيه طريقة شيخه أبي الفتح[4] ولم أر من ذكر له تأليفا.

و/ ثابت بن محمد الجرجاني:

أخد ببغداد عن ابن جني، وعن تلميذه عبد السلام بن الحسين البصري ثم رحل الى الأندلس وأملى فيها كتاب شرح الجمل للزجاج، كان إماما في العربية وروى كثيرا من علم الأدب، قتل في الأندلس سنة 431هـ[5].

ز/ الشريف الردي:

الشاعر المشهور أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى ولد ببغداد سنة 359هـ وأخذ علمائها ومنهم ابن جني، حيث درس عليه اللغة كما ذكر بعض المحدثين.

---

[1] – ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج5، ص29

[2] – المصدر نفسه: ج5، ص271

[3] – المصدر نفسه: ج5، ص272، وابن الأنباري، نزهة الألباء، ص232

[4] – المصدر نفسه: ج5، ص207

[5] – المصدر نفسه: ج1، ص398

1-7 أعماله ومؤلفاته: وقد عددها صاحب كتاب هدية العارفين. فقال وله من الكتب:

1. اسم المفعول.
2. الألفاظ في المهموز.
3. البشرى والظفر.
4. التبصرة في العروض.
5. تذكرة الاصبهانية.
6. التصريف الملوكي.
7. التعاقب.
8. تفسير أرجوزة أبي نواس.
9. تفسير ديوان المتنبي.
10. تفسير علويات الرضي.
11. تفسير المواثي الثقة والقصيدة الرائية للشريف الرضي.
12. التلقين في النحو.
13. التمام في شرح شعر الهذليين.
14. التنبيه في الفروع.
15. الخصائص.
16. الخطيب.
17. رسالة في مدد الأصوات.
18. سر الصناعة وشرحه.
19. شرح الفصيح لثعلب في اللغة.
20. شرح كتاب المقصور والممدود لأبي علي الفارسي.
21. شرح مستغلق أبيات الحماسة.
22. الصبر في شرح ديوان المتنبي.
23. العروض.
24. الفائق.
25. الفصل بين كلام العام والخاص[1].
26. الفرق بين كلام العام والخاص

[1] ينظر ابن جني: الخصائص، ج1، ص 13، 14.

27. الكافي في شرح القوافي للأخفش.
28. اللمع في النحو.
29. ما خرج مني من تأييد التذكرة.
30. محاسن العربية.
31. المحتسب في شرح الشواذ لابن مجاهد في القراءات.
32. مختار تذكرة أبي علي الفارسي.
33. مختصر التصريف على إجماعه.
34. المذكر والمؤنث.
35. المسائل الخاطريات.
36. المصنف في شرح التصريف للمازني.
37. معاني أبيات المتنبي.
38. معاني المحررة.
39. المغرب في شرح القوافي.
40. المفيدة في النحو.
41. المقتضب في كلام العرب.
42. المقتطف في معتل العين.
43. مقدمات أبواب التصريف.
44. المقصور والممدود.
45. المنتصف.
46. المنتصف في النحو.
47. المنهج في اشتقاق أسماء شعراء الحماسة.
48. النقض عن ابن وكيع.
49. الوقف والابتداء[1].

[1] ينظر ابن جني: الخصائص، ج1، ص 14، 15.

2-1 مذهبه النحوي: كان ابن جني بصري المذهب كشيخه أبي علي، ويجري في كتبه ومباحثه على أصول هذا المذهب، ويدافع عنه. على أن ابن جني لشدة حبه للعلم فكان يأخذه من أهله، بصريا كان أو غيره فنراه يكثر النقل عن ثعلب والكسائي ويمدحهما على اختلافه معهما في المذهب.

وابن جني إمام في النحو والصرف، لكنه أبرع في الصرف منه في النحو وسبب براعته في الصرف أن عجزه أمام أبي علي كان في مسألة صرفية فلذلك كان جده في الصرف أكثر[1].

كما قال فاضل السامرائي في كتابه: ابن جني النحوي قد انتهى بأدلة كثيرة إلى أن ابن جني «بصري المذهب حسب لا بغدادي ولا كوفي»[2].

ثم زعم عبد الفتاح الدجني بعد عشر سنوات من ظهور دراسة فاضل السامرائي أن ابن جني لم يكن بصريا من غير أن يعرض لإسقاط الآراء التي وردت في كتاب ابن جني النحوي أو مناقشتها مما دعانا إلى أن نقف وقفة قصيرة عند هذا الموضوع، حيث قال الدجني: "هذا باحث آخر يرى أن ابن جني كان كشيخه أبي علي بصريا... والحقيقة أن كلا العالمين بغداديان"[3].

ومن هذا يتضح لنا أن هناك اختلاف في آراء المفكرين والباحثين حول مذهب ابن جني في النحو، فمنهم من قال بأنه بصري محض أي سار على منهج شيخه أبي علي ومن هؤلاء فاضل السامرائي، أما البعض الآخر فقد جهل مذهب ابن جني كوفيا من بينهم عبد الفتاح الدجني وغيره.

---

[1] ينظر ابن جني: الخصائص، ج1، ص 12.

[2] فاضل صالح السامرائي: ابن جني النحوي، دار النذير، ط1، 1969م، ص 290.

[3] عبد الفتاح الدجني: ظاهرة الشذوذ في النحو العربي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1974م، ص 337.

2-2 عقيدة ابن جني:

لم يعرف عن ابن جني أنه كان شيعيا، وإن كان الظاهر من أمره ذلك، والأظهر أنه إنما كان يصانعهم، وكان من دواعي مصانعته لهم أن كان ذوو السلطان من آل بويه منهم، وهو كان متصلا بهم صلة قوية وكان البويهيون يحرصون على اظهار شعائر الشيعة.

وإنما كان التقريب في عصره لمن تشيع أو انتسب إلى الفرس وذلك لأن الأمراء منهم، وهنا طرفة ذكرها الأستاذ/ محمد علي النجار نقلا عن نزهة الألباء في ترجمة الربعي علي بن عيسى، قال: «إن علي بن عيسى الربعي كان على شاطئ دجلة في يوم شديد الحر فاجتاز عليه الشريف المرتضي في سفينة ومعه ابن جني، وعليهما مظلة تظلهما من الشمس، فهتف الربعي بالمرتضي وقال: ما أحسن هذا التشيع! علي تتقلى كبده في الشمس من شدة الحر، وعثمان عندك في الظل تحت المظلة لئلا تصيبه الشمس! فقال المرتضي للملاح: جد وأسرع قبل أن يسبنا».

2-3 مذهبه الفقهي:

يبدو أن ابن جني كان حنفي المذهب، ويتضح ذلك من إشارته في هذا الكتاب إلى هذا المذهب وقوله في الرواية عنه أصحابنا، ولاغرو في ذلك فهو عراقي يأخذ مذهب أهل العراق، وقد جاء ذكر أبي حنيفة في مبحث الدور، فقال: «هذا موضع كان أبو حنيفة رحمه الله يراه ويأخذ به...»[1].

[1] ينظر ابن جني: الخصائص، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ج1، ص 10، 11.

المبحث الثاني: كتاب الخصائص

1- كتاب الخصائص:

يعد كتاب الخصائص لابن جني من أهم الكتب التي اهتمت بأصول النحو في القرن الرابع الهجري، كما أنه من أفضل مؤلفاته في النحو، وهذا ليس كلاما يقال هكذا، وإنما بشهادة الدارسين لكتابه الخصائص والآخذين من مادته العلمية سواء من القدامى، أم من المحدثين، ولا يزال الكثير من الباحثين يعتبرونه منهلا غزيرا يغرفون منه العلم، غير أن بعض العلماء تجدهم يتضاربون في أحكامهم على مادته فعالم يقول هو كتاب في التصريف، وآخرون يقولون هو كتاب في أصول النحو، إلا أنه يمثل أرضا خصبة لدراسة أي علم من علوم العربية، والدليل على ذلك تلك الدراسات التي كثفت عليه في النحو والصرف وفقه اللغة، كل يستثمره في مجاله وخاصة بعد أن أضفى عليه ابن جني طابع الابتكار، وطرح النظريات الجديدة وصياغة هيكلة جديدة للغة والنحو العربيين، تجاوزت عصره، جعلها قرابة اثنين وستين ومئة باب، ناقش فيها مبادئ هذه اللغة الشريفة وخصائصها وأصولها اعتمادا على نحوها وصرفها، بل إننا نرى الدارسين في العصر الحديث يتخذون كتاب الخصائص منطلقا لدراستهم اللسانية، بمستوياتها (الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية)، كما يجعلونه أنموذجا لتوضيح المقاربات بين تراثنا اللغوي القديم والدراسات اللسانية الحديثة التي أتى بها دي سوسير.

كما أن ابن جني أصبح مشهورا، وذاع صيته وسط النحويين، وهذا راجع إلى القيمة والأهمية التي حققها هذا المصدر، حتى بات يستقطب الكثير من الدارسين رغبة في استنباط درره وآلائه[1].

[1] ينظر سليم عواريب: علم أصول النحو ومصطلحاته في كتاب الخصائص لابن جني، دار غرناطة، باب الوادي، الجزائر، ط1، 2010، ص 78، 79.

2- عنوان الكتاب:

لقد أطلقت تسميتان على كتاب الخصائص، إحداهما أشهر من الأخرى فالأولى: (الخصائص)، والثانية: (الخصائص في النحو)، إلا أن معظم المصنفات التي وقعت بين أيدينا أوردت التسمية الأولى المشهورة بالخصائص، لكن العالم الذي جاء بتسمية العنوان الثاني (الخصائص في النحو) هو كارل بروكلمان في كتابه «تاريخ الأدب العربي» والسيوطي في «بغية الوعاة»[1]، ولسنا نرجح إحداهما على الأخرى ما دمنا نفتقر إلى الدليل، إلا أن ابن جني ذكر هذا المصطلح الخصائص في مقدمة كتابه فقال: « واعتقادي فيه أنه من أشرف ما صنفت في علم العرب وأجمعه للأدلة على ما أودعته هذه اللغة الشريفة: من خصائص الحكمة ونيطت به من علائق الإتقان والصنعة»[2].

فمن خلال قوله هذا يتبين لنا أن كتاب الخصائص لابن جني يهتم بخصائص هذه اللغة وما قدمته من حكم يستفيد بها الدارسون في دراستهم وبحوثهم.

والخصائص من التخصيص جاء في اللسان: «خصه بالشيء... أفرده به دون غيره»[3].

وكأن ابن جني أراد أن يبين أشياء عرفت بها العربية دون غيرها من اللغات، فجعل اسم كتابه دالا على ما رسمه في كتابه ولم لا، ابن جني من صفوة علماء اللغة الذين أبدعوا فيها وأضافوا إلى رصيدها العديد من المصطلحات.

---

[1] سليم عواريب: علم أصول النحو ومصطلحاته في كتاب الخصائص لابن جني، ص 79. عن بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ج1، ص 575 وابن الانباري: بغية الوعاة، ج2، ص 132.

[2] ينظر ابن جني: الخصائص، ج1، ص01.

[3] ينظر ابن منظور: لسان العرب، مادة (خصص)، ج7، ص 27.

3- هدف تأليفه:

لقد بين ابن جني من خلال افتتاحه للكتاب سب تأليفه، ويتمثل في طلب التلاميذ والأصحاب من علمائهم التأليف فيما يفقهون من العلم، فيقول ابن جني في مقدمته: «إن بعض من يعتادني ويلم لقراءة هذا العلم بي ممن أنس بصحبته لي، وأرتضي حال أخذه عني سأل فأطال المسألة وأكثر الحفاوة والملاينة، أن أمضي الرأي في إنشاء هذا الكتاب وأوليه طرفا من العناية والانصباب فجمعت بين ما أعتقده: من وجوب ذلك علي إلى ما أوثره من إجابة هذا التسائل لي»[1]، وليس هذا فحسب، فالهدف الرئيسي الذي من أجله صنف الخصائص فيما نعتقد، وقد ذكره قبل ان يذكر هذا النص في تلبية طلب السائل، وهو انه أدرك أن النحو بعد نضجه، بحاجة إلى البحث في أصوله كما جرى بالنسبة للفقه وان المصنفات السابقةن قد استنزفت البحث في جزئيات النحو، وبخاصة أن علماء العربية قبله، لم يخوضوا في لجج هذا العلم قبله فيقول: «وذلك أنا لم نر أحدا من علماء البلدين تعرض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه»[2]، ومن خلال قوله هذا يتضح لنا أن ابن جني لم يسبقه أحد إلى هذا العلم، ولذلك اعتبرها حجة دامغة إلى التأليف فيه.

[1] ابن جني: الخصائص، ج1، ص 03.

[2] ينظر ابن جني: الخصائص، مقدمة المؤلف، ج1، ص 02.

4- مباحثـــــه:

غن كتاب الخصائص لابن جني يحتوي على عدد لا بأس به من الأبواب، حيث فاق المئة والستين بابا، لأجل هذا اعتبر موسوعة في علم العربية وخصائصها، وهو الذي استدل على ذلك بقوله: إنه «يتساهم ذوو النظر من المتكلمين والفقهاء، والمتفلسفين، والنحاة، والكتاب والمتأدبين التامل له، والبحث عن مستودعه فقد وجب أن يخاطب كل إنسان منهم بما يعتاده ويأنس به ليكون له سهم منه وحصة فيه»[1].

لقد لاحظنا في عرض مؤلفات ابن جني تنوعا كبيرا، ومن ذلك عرفنا انه عالم لم يتخصص في مجال معين وإنما تجاوز حدود التخصص، وهذه ميزة من مميزات الباحثين القادمى، كما نلحظ أن ابن جني من خلال كتابه الخصائص قد ألف في المسائل اللغوية وهذا موجود في بداية كتابه حين فرق بين مصطلحات لغوية كالكلامن والقول، وتعريف اللغة ونشأتها، إضافة إلى مسائل أخرى كباب الاشتقاق الأكبر، وباب إمساس الألفاظ أشباه المعاني، وباب تسمية الفعل وغيرها من الأبواب المختلفة والمتنوعة.

كما أنه تطرق إلى موضوعات بلاغية من بينها التفريق بين الحقيقة والمجاز في باب سماه «في فرق بين الحقيقة والمجاز»، غير أنه لا يخصص لها أبوابا وإنما يتناولها أثناء حديثه، إضافة إلى مسائل علم العروض والقافية في باب «ذكر علل العربية أكلامية هي أم فقهية»[2]، والضرورات الشعرية في باب «تخصيص العلل»[3].

---

[1] ابن جني: الخصائص تحقيق علي النجار، ج1، ص 67.

[2] المصدر نفسه، ج3، ص 245، 247.

[3] المصدر نفسه، ج1، ص 69، 70، 71.

بالإضافة إلى أن ابن جني خصص بابا في مسالة من مسائل علم الكلام سماه «فيما يؤمنه علم العربية من اعتقالات الدينية»، حيث تطرق فيه إلى ذكر آيات التنزيه على طريقة المعتزلة، وبين «أن أكثر من ضل من اهل الشريعة عن القصد فيها... فإنما استهواه واستخف حلمه وضعفه في هذه اللغة الكريمة الشريفة»، ثم راح يفسر ويؤول الآيات، تنزيها لله وأقر بأن أكثر هذه اللغة جار على المجاز[1]، أما المباحث الأصولية في كتاب الخصائص فهي كثيرة لا نستطيع ذكرها كاملة من بينها السماع والقياس والعلة والإجماع والاستحسان...

كما أن أهم الأبواب فيما يبدو هي كالآتي:

1- باب القول على الاطراء والشذوذ. 2- باب في تقاود السماع وتقارع الانتزاع.

3- باب في مقاييس العربية. 4- باب في جواز القياس على ما يقل ورفضه فيما هو أكثر منه.

5- باب في تعارض السماع والقياس. 6- باب في الاستحسان. 7- باب في تخصيص العلل.

8- باب في ذكر الفرق بين العلة الموجبة والعلة المجوزة. 9- باب في تعارض العلل.

10- باب في العلة وعلة العلة. 11- باب في دور الاعتلال. 12- باب في الاحتجاج بقول المخالف.

13- باب في الدور والوقوف منه على أول رقبة.

14- باب في أن ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب.

15- باب في القول على اجماع أهل العربية متى يكون حجة.

ومما يشاع على هذه المباحث الأصولية هو أنها ابتكار لم يسبق إليه أحد قبل ابن جني، بل ربما لو بحث باحث على هذه الموضوعات في كتب أخرى لم يجدها، وإذا وجدها كانت مجرد تلميحات خاطفة، وبالرغم من هذا كله إلا أن أبواب الخصائص افتقدت إلى الترتيب والتبويب المنطقي أو الموضوعي، سوى أنه بدأ أول أبوابه بالتعريف والتفريق بين أمور تعد من أساسيات علم العربية وهي: (الكلام والقول واللغة والنحو والإعراب والبناء وأصل اللغة ونشأتها...)، وهي مبادرة بمثابة تمهيد وتهيئة للقارئ من أجل فهم مادته.

[1] ينظر لبن جني: الخصائص، ج1، ص 147.

5- منهجيته في الكتاب:

إن أسلوب ابن جني في كتابه الخصائص يتسم بالغموض بعض الشيء وسبب ذلك يعود إلى درجته العلمية وثقافته الواسعة باللغة العربية و مدى إتقانه لها، ومن العبارات التي اشتهر بها معرفته للكلام البليغ وحسن تصريفه، والإبانة من المعاني بأحسن وجوه الأداء، وهو يسمو في عبارته ويبلغ بها ذروة الفصاحة، في المسائل العلمية الجافة البعيدة عن الخيال.

ونجد لابن جني عباراته وجوه في استعمال بعض المفردات يدونها اللغويين وينوهون بها كما يدونون ما يصدر عن الغرب، ثقة طبيعته العربية وسجيته اللغوية، فهو يستعمل (الأصلية) في معنى (التأصل) وكذلك (أنشأ) ويدخل (قد) على الفعل المنفي، كذلك يتبن لنا أن ابن جني قد اعتمد في كتابه على نظام الأبواب، فكل فكرة أو مسألة أفرد لها بابا ومثال ذلك باب القول على الفصل بين الكلام والقول، وهذا نجده في الجزء، وقد خصص في ذكر أقوال العرب والشعراء والاعتماد عليهم في أبوابه التي تطرق فيها إلى اللغة العربية والنحو وأصول النحو من قياس وسماع، استحسان، علل، احتجاج، وغيرها.

ومن خلال إشارتنا إلى أنه استهل كتابه بذكر قضايا أساسية اعتمدها النحاة من بعده، وأسسوا عليها مادتهم ويبدو أن ابن جني، صور صورة خاصة أراد أن يصب فيها فكره اللغوي، فجاءت منهجيته فريدة من نوعها، فقد جمع إلى الوصف والتقعيد والتنظير أيضا[1]، وكان معتمدا في ذلك كما قال الدارسون على مظاهر ثلاث: المظهر اللغوي والمظهر الفقهي والمظهر الكلامي[2]، كما أنه اهتم بقضية اللفظ والمعنى وجاء ذلك في باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني، وكذلك عنايته بالجانب الصوتي فيقول: «فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع ونهج متلئب عند عارفيه مأموم وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها فيعدلونها بها ويحتذونها عليها...»[3].

---

[1] سليم عواريب: علم أصول النحو ومصطلحاته في كتاب الخصائص لابن جني، ط1، 2010، ص 86.

[2] المرجع نفسه، ص 86.

[3] ينظر ابن جني: الخصائص، تحقيق النجار، ج2، ص 157.

الفصل الثانـي

العلة النحوية قبل ابن جني

المبحث الأول: ماهية العلة

1- تعريف العلة

1-1 لغـــــة

1-2 اصطلاحا

1-3 طبيعة العلة النحوية

المبحث الثاني: أنواع العلة

1- أنواع العلل عنـــد بعض النحاة

2- ما قيل عن وجود التعليل النحوي

المبحث الأول: ماهية العلة

1- تعريف العلة:

1-1- لغة:[1]

العلة "بكسر العين": المرض، عل، يعل، واعتل، أي مرض، فهو عليل، فالعلة في اللغة هي اسم يتغير به حال الشيء بحصوله فيه، فيقال للمرض علة، لأن الجسم يتغير حاله بحصوله فيه، ويقال فلان اعتل، إذا تغير حال الشخص من القوة إلى الضعف.

والعلة هي الحدث الذي يشغل صاحبه عن حاجته، كأن تلك العلة صارت شغلا ثانيا ومنعه عن شغله الأول، وفي حديث عاصم بن ثابت: ما علتي وأنا جلد نابل؟

أي ما غدري في ترك الجهاد وما معي أهبة القتال، فوضع العلة موضع العذر لكن أليس العذر بسبب وأليس ما شغلنا عن شيء ما بسبب، فكلها تشير إلى معنى السببية، فهذا علة لهذا أي سبب.

فالعلة في مطلق معناها: هي ما يتوقف عليه الشيء وما يحتاج إليه سواء كان المحتاج الوجود أو العدم أو الماهية.[2]

وعند الفلاسفة كل ما يصدر عنه أمر آخر بالاستقلال أو بوساطة انضمام غيره إليه، فهو علة كذلك الأمر والأمر معلول له.

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، ج2، مادة عل، بيروت.

[2] أبو البقاء الكفوي: الكليات، مؤسسة الرسالة، (د.ط)، (د.ت)، ص250.

1-2- اصطلاحا:

مفهوم العلة عند النحويين قد أخد مفاهيم مختلفة قبل أن يستقر في معناه الشائع المعروف، فللعلة في كلامهم صور شتى يجمع ما بينها معنى السببية.

فجل المفاهيم تدور في فلك السببية من حيث إن العلة سبب إثبات الحكم أو نقله من الأصل إلى الفرع، فصارت دليلا على الحكم، فجعل النحويون وجودها دليلا على وجود الحكم، كما يجعلون عدمها دليلا على عدمه لأن من شأن الحكم أن يدور مع علته وجودا أو عدما.

وبالتالي فالعلة هنا تنقل الحكم من الأصل أي المقيس عليه إلى الفرع أي المقيس، فصارت عبارة عن دليل يقترن بالمعلول لتفسيره نحويا، و« يسميها بعض النحاة سببا »[1] .

ومن هذا القبيل القول بأن علة إعمال اسم الفاعل شبهه بالفعل من حيث مطلق الحركات والتقليل لعدم إعمال (إن) المخففة من الثقيلة بزوال شبهها بالفعل، فالعلل هي القواعد المطردة المستظهرة من الكلام.

وللعلة ارتباط بالأصل لأن: ما جاء على أصله لا يسأل عن علته، ولأن من عدل عن الأصل افتقر إلى إقامة الدليل لعدوله عن الأصل، أي أن العلة النحوية هي الوصف الذي يكون مظنه وجه الحكمة في اتخاذ الحكم[2]، أو هي الأمر الذي يزعم النحويون أن العرب لاحظته حين اختارت في كلامها وجها معينا من التعبير والصياغة.

والعلة تسمى أحيانا الجامع أو العلة الجامعة: وهي ركن من أركان القياس النحوي الذي يتألف من الأصل (المقيس عليه) والفرع (المقيس) ، والعلة هي أساس عملية القياس النحوي والحكم، حيث يقول السيوطي: « للقياس أربعة أركان: أصل وهو المقيس عليه وفرع وهو المقيس ، وحكم، وعلة جامعة »[3].

---

[1] ابن مالك: شرح التسهيل، ج2، (د.ط)، 1990، ص 207

[2] مازن المبارك: النحو العربي العلة نشأتها وتطورها، دار الفكر، مصر، ط3، 1881، ص90.

[3] السيوطي: الاقتراح في أصول النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1998، ص39.

فهو عبارة عن الوظيفة النحوية التي تجمع بين الأصل والفرع والتي يتم على أساسها إعطاء حكم الأصل للفرع، ومن أمثلة ذلك أن الفعل المضارع أعرب لأنه يشابه اسم الفاعل في عدد الحروف، ونسق الحركات والسكون، وجواز الإحلال فيما بينها قال تعالى: ﴿ وَإِنَ رَبَّكَ لَيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾[1]، أي الحاكم.

ومن أمثلة ذلك أيضا أن (لا) النافية للجنس تنصب الاسم وترفع الخبر قياسا على إن والعلة الجامعة أو الوظيفة النحوية تتصل بالدلالة أو المعنى، فإن (لا) تفيد الدلالة على توكيد النفي، وإنّ تفيد الدلالة على توكيد الإثبات، أي أن التوكيد هو الذي يجمع بينهما ويتصل بالدلالة حمل لفظ على آخر لتعليل التذكير والتأنيث ومن أمثلة ذلك ما حكى الأصمعي عن أبي عمرو حيث قال: « سمعت رجلا من اليمن يقول: فلان لغوب، جاءته كتابي فاحتقرها، فقلت له: أتقول جاءته كتابي؟ قال نعم، أليس بصحيفة؟ »[2].

فإن هناك بعض التشابه في الدلالة بين الكتاب والصحيفة، لذلك لم يجد هذا الرجل حرجا في تأنيث الفعل مع الكتاب، لأنه يقصد الصحيفة التي تؤدي الوظيفة النحوية لكلمة (كتاب) وهي وظيفة تتصل بالإعراب أو الدلالة أو المعنى.

العلة النحوية قبل ابن الجني:

إن تقصي العلة والبحث عن السبب من طبع الإنسان، فهو يملك عقلا يمكنه من تتبع الأمور البسيطة والجزئيات الصغيرة واستقراءها ومن ثمة يصدر عليها أحكامه حتى يصل بالظاهرة إلى القاعدة النحوية العلمية.

فالسؤال عن العلة النحوية قديم مرافق للحكم النحوي، فالتعليل يعد بمثابة جزء من جسم النحو العربي نشأ معه، وتطور بتطوره.

---

[1] النحل/ 124.

[2] ابن جني: الخصائص، تحقيق ع الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان ج1، ط2 2003، ص262.

والكلام عن العلة النحوية ونشأتها وتطورها يوجب علينا تتبع آراء النحاة الأوائل والبداية تكون مع الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي كان يقوم بأعمال كبيرة في النحو العربي تتمثل في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو، وقد كان عقله الخصب هو الذي مكنه من التعليل في كل رأي نحوي أبداه، فبسط الحديث في العلل بسطا لفت معاصريه، فسألوه عن العلل التي يعتل بها في النحو، أأخذها عن العرب أم اخترعها؟

يقول الزجاجي: « وذكر بعض شيوخنا أن الخليل رحمه الله سئل عن العلل التي يعتل بها في النحو فقيل له: عن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك؟ فقال: إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها، وعرفت مواقع كلامها، وقامت في عقولها علله، وإن لم ينقل ذلك عنها، واعتللت أنا بما عندي أنه علة لما عللته منه...»[1].

كما ذهب الخليل إلى أن الإعراب أصل في الأسماء وأن البناء أصل في الأفعال والحروف وأن الطرفين لا يخرجان عن هذا الأصل إلا لعلة أما الأسماء فإنها تبنى حين تعترضها علة شبهها بالحروف، ويعرب الفعل حين يشبه الاسم على نحو ما أعرب المضارع لمشابهته الاسم من حيث الحركات والسكنات مثل: (أخرج) و(مخرج)، وظلت الحروف مبنية لأنها لا تشبه الاسم، وقد أورد سيبويه الكثير مما قاله الخليل إذ بين آراءه حول بعض المسائل النحوية من ذلك قوله: « و سألت الخليل عن قولهم أضرب أيهم أفضل فقال: القياس النصب كما تقول أضرب الذي أفضل، لأن –أيا– في غير الاستفهام و الجزاء بمنزلة الذي كما أن – من– في غير الجزاء والاستفهام بمنزلة الذي »[2].

[1] محمود أحمد نحلة: أصول النحو العربي، دار المعرفة، (د.ط)، 2000، ص125.

[2] سيبويه: الكتاب، مطبعة بولاق –مصر– (د.ط)، ج2، ص398.

أما سيبويه فتعليلاته شبيهة بتعليلات الخليل من حيث عنايتها بالمعنى وروح اللغة البعيدة عن الجدل والتكلف، ويعتمد على اللغة وقياس الشبيه وحمل النظير على نظيره واعتماده على ذوق العرب في طلبه للخفة، وفراره من القبح.

واستنباط العلل عن سيبويه يعتمد على ما وفر في نفسه من سلامة ذوق العرب ورهافة حسهم، وحبهم للتخفيف من الثقل، ومن تعديلات سيبويه نذكر ذهابه إلى أن الأسماء لا تجزم للحاق التنوين بها، كما أن الأفعال المضارعة لا تجر لأن المجرور داخل في المضاف إليه، ولا يلحق الأفعال التنوين، وإنما مضارع الفعل أسماء الفاعلين كأن نقول: (إن عبد الله ليفعل) ذلك يوافق قول (إن عبد الله لفاعل).

كما يعلل سيبويه رفع المثنى بالألف ونصبه وجره بالياء، فعلامة الرفع في المثنى الألف، والرفع من جنس الواو، ولكن جعل الألف في المثنى لكي لا يلتبس المثنى المرفوع بجمع المذكر السالم المرفوع، وعلامة الجر هي نفسها علامة النصب ومع أن الفتحة من جنس الألف لم يكن نصبه الألف، لأن نصبه بالياء يجعله نظيرا لجمع المذكر السالم الذي ينصب أيضا بالياء.

وقد علل سيبويه قول العرب: (أهلك والليل) بقوله: « وإنما حدفوا الفعل حين ثنوا لكثرته في كلامهم، واستغناء بما يرون من الحال، وبما جرى من الذكر »[1].

[1] سيبويه: الكتاب، مطبعة بولاق –مصر– (د.ط)، ج1، ص274.

والتعليل عند سيبويه ليس أكثر من إلحاق الحكم النحوي بعلة يلقيها صاحبه بأسلوب الأستاذ المقرر أو العالم الواثق، فلا يتخيل ردا عليه ولا يفترض نقصا له، ولا هو يحاول إضعاف العلة وتوهيتها ليعود فيثبتها أو يؤكدها شأن المتأخرين، فكان يكتفي من ذلك بأن يؤيد حكمه بكثرة القياس بين الأشباه والنظائر وكثرة الأمثلة والاستعانة بالشواهد يأخذها عمن يثق بهم من أهل اللغة.

ويعتمد سيبويه في استنباط العلل على وقر في نفسه من سلامة ذوق العرب ورهافة حسهم، وحبهم للتخفيف من الثقل كأستاذه الخليل، وهذا لا يمنعه من تضعيف رأي أستاذه إذ تعجبه علته بالرغم من شدة احترامه له حيث يقول سيبويه: « وزعم الخليل أنه يجوز أن يقول الرجل: هذا رجل أخو زيد إذا أردت أن تشبهه بأخي زيد، وهذا قبيح ضعيف، لا يجوز إلا في موضوع الاضطرار ولو جاز هذا لقلت: هذا قصير الطويل، تريد مثل الطويل »[1].

فسيبويه يوجه عنايته بالنحو غير مهتم بإظهار براعته في التعليل كما هو شأن النحاة من بعده.

ومع ظهور القرن الثالث برز التعليل الفلسفي، إذ جعل لكل رأي علة تبرره، وممن اشتهر بطابع فلسفي في تعليلاته الفراء الذي عرف بميله إلى الإعتزال، لكنه يلجأ إلى السهوله والوضوح في بعض الأحيان.

[1] مازن المبارك: النحو العربي العلة النحوية نشأتها وتطورها، دار الفكر، مصر، ط3، 1881، ص 65، 66.

أما المبرد فقد كان شديد الاهتمام بالتعليل، حيث اتخذ منه سلاحا للمناقشة والبحث حتى باتت العلة عنده رديف الحكم النحوي، ويروى عنه أنه وقف في وجه سيبويه حيث خالف الكثير من المسائل من ذلك قوله مع سيبويه بوجوب رفع المبتدأ مثلا، لكنهما اختلفا في تعيين الرافع أو علة الرفع فقال سيبويه يرفع المبتدأ بالابتداء، سواء تقدم المبتدأ أو تأخر، أما المبرد فيرى أن المبتدأ يرفع بالابتداء حالة تقدمه فقط، أما إذا تأخر فيرفعه خبره[1].

وكذلك وافق المبرد سيبويه في حكم (لا مرحبا ولا أهلا) وخالفه في علة الحكم وخلاصة القول أن العلة في زمنها كانت مستمدة من روح اللغة معتمدة على كثرة الشواهد والحسن والفطرة، ولم تكن ذا طبيعة فلسفية، وإن كانت فكرتها في الأصل مقتبسة من التفكير الفلسفي، واتسعت ظاهرة التعليل فأفردت لها موضوعات مخصصة منها "العلل في النحو"[2] لقطرب وكتاب المازني "كتاب علل النحو"[3]. وكتاب الزجاجي (الإيضاح في علل النحو)، وبذلك أصبحت العلة ذات قيمة كبيرة تستقطب أنظار النحاة وتأملاتهم.

كما أن العلة عند الزجاجي تميزت بنظرته إليها على أن منها ما هو ضروري لتحقيق غاية النحو التعليمية ومنها ما هو ضروري لتحقيق غاية لغوية .

فحاول الزجاجي أن يجعل النحو مستقلا بحدوده وأساليب البحث فيه.

إلا أن هذا الاتجاه لم يحد من خضوع البحر النحوي لآثار غيره من العلوم العربية والأعجمية التي زخر بها القرن الرابع الهجري، إلى جانب بلوغ العقلية النضج مبلغا عظيما، وغلبة أحكام المنطق وأساليب الكلام، فالأصول النحوية الكلية لها قوة المقدمات المنطقية فمثلا قولنا:

كل فاعل مرفوع

(س) فاعل

إذن (س) مرفوع

هذا يعادل قول أهل المنطق، كل إنسان ميت

سقراط إنسان

إذن سقراط ميت.

فالزجاجي لم يستطع أن يكون نحويا خالصا كما أراد، بل سيطرت عليه النظرة الفلسفية في حديثه عن العلل ونظرته إليها.

1-3- طبيعة العلة النحوية:

علل النحاة معروفة يستنبطونها من استقرائهم لكلام العرب، كما أن علل النحاة تكون للتدليل على أحكامهم النحوية، فالعلل النحوية في طبيعتها وجوه إقناعية اعتبارية خاصة لاجتهاد النحوي وفق أصول صناعة النحو،

---

[1] ينظر المبرد: المقتضب، القاهرة –مصر- ط2، 1979، ج4، ص12.

[2] ياقوت الحموي: معجم الأدباء، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، 1991، ص 19- 153.

[3] المصدر نفسه، ج7، ص 122.

فهي إذن مستنبطة بالفكر والروية من تتبع ملاحن العرب في كلامهم، فيراد بها الوجوه الإقناعية، فغاية العلة الإقناع وليس إثبات التأثير الحسي لأنها « مشبهة بالعلل الحسية »[1].

وبسبب طبيعة العلة الإقناعية يجتهد النحاة في إيجاد علل مقنعة وفق أصول العربية ومتطلبات زمانهم.

ويتبين هذا من موقف سيبويه بقوله: « وليس شيء مما يضطرون إليه وهم يحاولون به وجها »[2] وزيادة على هذا فإن علل النحو الحسية تكشف عن نتيجة الاستقراء بمعنى أن العربي يتكلم، والاستقراء يأتي أولا، ثم يأتي النحوي بعد ذلك ليشرح العلل، أي ينشأ الحكم ثم تنشأ العلة الداعية إليه، فهي بذلك أقرب إلى علل المتكلمين، وإلى هذا يشير ابن جني في كتابه الخصائص.

ومن طبيعة العلة كذلك أنها تقبل التعدد حسب قدرة النحوي على الاستقصاء والاجتهاد والإكثار من العلل بمثابة تحصين لحكم المعلول بوجوه متعددة.

« فعلل بناء على الاسم عند الحيدرة اليمني ثلاثة وعن السيوطي إحدى عشرة"[3].»

---

[1] ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريتين والكوفيتين، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ط)، 1968، م29، 247/1.

[2] السيوطي: الإقتراح، ص47.

[3] حسن خميس سعيد الملخ: نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، دار الشروق، عمان، ط1، 2000، ص104.

المبحث الثاني: أنواع العلل عند بعض النحاة:

1-1- أنواع العلة عند الزجاجي:

يعود الفضل إلى الزجاجي في الحديث عن أضرب العلل النحوية وهي عنده ثلاثة أنواع ، وفي هذا الصدد يقول: « وعلل النحو بعد هذا ثلاثة أضرب: علل تعليمية وعلل جدلية نظرية »[1]، فكان هذا التقسيم كذلك عند باقي النحاة لكن بتسميات أخرى، فقسمها بعضهم إلى « العلل الأولى وهي التي سماها الزجاجي عللا تعليمية، وأما ما يعتلون به لهذه الأحكام فيسمونه (العلل الثواني) أو (علة العلة) التي تجري في كثير من الأحيان مجرى الكشف عن وجود الحكمة في الأوضاع التي بنوا عليها كلامهم وهنا ما يسمى (بالعلل الثوالث) وهي التي يسميها الزجاجي (العلة الجدلية) وهي تابعة للنظر ويتفاوت النحويون في إدراكها وانتزاعها كتساؤلهم إذا كان دخول الإعراب للفرق بين المعاني فهلا نصبوا الفاعل ورفعوا المفعول »[2].

وسميت كذلك نظرا لأسبقية الاستعمال فالعلل الأولى تكسبنا أن نتكلم كما تكلمت العرب أما العلل الثواني (القياسية) والعلل الثوالث (الجدلية النظرية) تكسبنا حكمتهم في كلامهم وصيغ عباراتهم الصعبة ذات نسق نحوي دقيق.

إذ يمكن القول أن هناك نوعين من العلة، علة تظهر وتكشف كلام العرب (العلل الأولى) وعلة تكشف عن صحة أغراضهم في الكلام (علل ثواني) و(علل ثوالث) إذ ذكر السيوطي أن أبا عبد الله بن موسى الدينوري قال في كتابه: (ثمار الصناعة في علم العربية) في التعليل: أن اعتلالات النحويين صنفان[3].

---

[1] الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، دار النفاش، بيروت، ط1، 1974، ط5 (1986)، ص64.

[2] منى إلياس: القياس في النحو، ص 75-76.

[3] حسن خميس سعيد الملخ: نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، ص 71-72.

علة تطرد على كل كلام العرب، وتنساق إلى قانون لغتهم، وعلة تظهر حكمتهم في أصوله وتكشف عن صحة أغراضهم ومقاصدهم في موضوعاته.

كما سنذكر العلل التي تطرق إليها الزجاجي في قوله السابق بالترتيب وهي كالآتي:

1- العلل التعليمية: فهي التي يتوصل بها إلى تعلم كلام العرب، لأنا لم نسمع نحن ولا غيرنا كل كلامها منها لفظا، وإنما سمعنا بعضا فقسنا عليه نظيره، مثال ذلك أنا لما سمعنا قام زيد فهو قائم، وركب فهو راكب عرفنا اسم الفاعل فقلنا ذهب فهو ذاهب، وأكل فهو آكل وما أشبه ذلك، وهذا كثير جدا، وفي الإيماء إليه كفاية لمن نظر في هذا العلم، فمن هذا النوع من العلل قولنا إن زيدا قائم، إن قيل بم نصبتم زيدا؟ قلنا: بإن لأنها تنصب الاسم وترفع الخبر لأنا كذلك علمناه ونعلمه، وكذلك قام زيد. إن قيل لم رفعتم زيدا؟ قلنا لأنه فاعل اشتغل فعله به فرفعه، فهذا وما أشبهه من نوع التعليم، وبه ضبط كلام العرب[1].

ومن هذا يتضح لنا جليا بأن هذا النوع من العلل له أهمية بالغة في فهم وتعلم كلام العرب الذي يمتاز بالفصاحة والدقة في المعنى من خلال التراكيب النحوية التي تحدث عنها النحاة القدامى والمحدثون كل حسب طريقته الخاصة.

[1] الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، دار النفائس، بيروت –لبنان– ط3، 1979، ص64.

2- العلة القياسية: فأن يقال لمن قال نصبت زيدا بإن ، في قوله إن زيدا قائم ولم وجب أن تنصب "إن" الاسم؟ فالجواب في ذلك أن يقول: لأنها وأخواتها ضارعت الفعل متعدي إلى المفعول، فحملت عليه فأعملت إعماله لما ضارعته، فالمنصوب بها مشبه بالمفعول لفظا، والمرفوع بها مشبه بالفاعل لفظا، فهي تشبه من الأفعال ما قدم مفعوله على فاعله، نحو ضرب أخاك محمد وما أشبهه من ذلك[1].

فالعلل القياسية تعلل حمل الكلام بعضه على بعض لشبه لفظي أو معنوي، وهذا النوع من العلل جامع بين المقيس والمقيس عليه في عملية القياس النحوي الشكلي، كتشابه اسم إن والمفعول به في النصب مما يعني تساوي كل من الفعل المتعدي وإن وأخواتها في العمل.

3- العلة الجدلية النظرية: فكل ما يعتل به في "إن" بعد هذا. مثل أن يقال: فمن أي جهة شابهت هذه الحروف الأفعال؟ وبأي الأفعال شبهتموها؟ أبالماضية، أم المستقبلة أم الحادثة في الحال، أم المتراخية، أم المنقضية بلا مهلة؟ وحين شبهتموها بالأفعال لأي شيء عدلتم بها إلى ما قدم مفعوله على فاعله نحو ضرب زيدا عمرو، وهلا شبهتموها بما قدم فاعله على مفعوله لأنه هو الأصل وذاك فرع ثان؟ فأي علة دعتكم إلى إلحاقها بالفروع دون الأصول[2]...

بالإضافة إلى ان آراء النحاة مختلفة كثيرا في هذا المجال لأن هذا النوع من العلل يكثر فيه الجدل والبحث النظري، حيث تضاربت أقوالهم، فكان لكل حكم نحوي أكثر من علة، وهذه العلل « تستند إلى الملحوظ العقلي بين تراكيب الكلام مثلما هو في العلل التعليمية »[3].

---

[1] الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، ص64.

[2] المصدر نفسه، ص65.

[3] حسين خميس سعيد الملخ: نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، ص55.

1-2- عند الزمخشري:

ومن أنواع تعليلاته:

1- علة غلبة وشيوع: فقد علل سبب إطلاق لفظة (العبادلة) على بعض الصحابة يقول: وقد يغلب بعض الأسماء الشائعة على أحد المسمين به علما له بالغلبة نحو ابن عمر وابن عباس، وابن مسعود، غلبت على العبادلة دون من عداهم من أبناء آبائهم.

وفي هذا القبيل غلبة (النجم) على الثريا، و(الصعق) على خويلد بن عمر بن كلاب.

2- علة تأويل: وقد يتأول العلم بواحد من الأمة المسماة به، فلذلك من التأويل يجري مجرى رجل وفرس فيتجرأ على إضافته وإدخال الأم عليه وقالوا مضر الحمراء وربيعة الفرس وأنمار الشاه.

3- علة تفسير: يقول في المفعول فيه: ويضمر عامله على شريطة التفسير كما صنع في المفعول به، تقول اليوم سرت فيه، وأيوم الجمعة ينطلق عبد الله يوم الجمعة.

ومن هذا القبيل إضمار الفاعل في قولك، ضربني وضربت زيدا، تضمر في الأول اسم من ضربك وضربته إضمارا على شريطة التفسير، لأنك لما حاولت في هذا الكلام أن تجعل زيدا فاعلا ومفعولا فوجهت الفعلين إليه، استعنت بذكره مرة أخرى[1].

[1] أبو زيد سالم نادر عطيه: الزمخشري وجهوده في النحو، ص 182، عن الزمخشري: المفصل في علم العربية ط2، ص11-12-58.

4- علة مقاومة السكون: يقول في الثلاثي الساكن الوسط وما فيه سببان من الثلاثي الساكن الحشو كنوح ولوط، منصرف في اللغة الفصيحة التي عليها التنزيل لمقاومة السكون أحد السببين.

5- علة جواز: ومنها جواز تقديم المبتدأ على الخبر، كقولك تميمي أنا، ومشنوء من يشنؤك ومن جواز دخول الفاء على الخبر إذا تضمن معنى الشرط، يقول: إذا تضمن المبتدأ معنى الشرط جاز دخول الفاء على خبره وذلك على نوعين الموصول والنكرة الموصوفة إذا كانت الصلة أو الصفة فعلا أو ظرفا كقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾[1].

6- علة جواز للضرورة الشعرية: يقول: وقد جوزوا في الوصف التنوين في ضرورة الشعر كقول الشاعر: جارية من قيس بن ثعلية.

7- علة حصر: وذلك لملازمة الصفة الموصوف وعدم مفارقتها له، يقول: ولا ينادي ما فيه الألف واللام إلا الله وحده لأنهما لا تفارقانه كما تفارقان النجم مع أنهما خلف همزة إلاه.

8- علة اختصاص: يقول: وفي كلامهم ما هو على طريقة النداء، ويقصد به الاختصاص لا النداء. وذلك قولهم: أما أنا فأفعل كذا أيها الرجل، واللهم اغفر أيتها العصابة، جعلوا أيا مع صفته دليلا على الاختصاص، والتوضيح، ولم يعنوا بالرجل والعصابة إلا أنفسهم[2].

---

[1] البقرة/ 274.

[2] أبو زيد سالم نادر عطية: الزمخشري وجهوده في النحو، ص 183. عن الزمخشري: المفصل في علم العربية، 17، 24، 27، 39، 41، 45.

9- علة جعل الشيئين كشيء واحد: حيث إنهم جعلوا الاسمين كاسم واحد، واستشهد على ذلك بقولهم: يا ابن أبي، يا ابن عمي...

10- علة تفريق: ومن ذلك دخول التاء للفرق بين اسم الجنس الواحد منه، كثمرة وشعيرة وضربة، وقتلة.

11- علة الأمن من اللبس: فقد حذفوا المضاف وأقاموا المضاف إليه مقامه يقول: وإذا أمنوا الالتباس حذفوا المضاف وأقاموا المضاف إليه مقامه، وأعربوه بإعرابه، والعلة في قوله تعالى: ﴿ وَسْئَلِ القَرْيَةَ...﴾[1]. لأنه لا يلبس أن المسؤول أهلها لا هي.

12- علة الترخيص والتيسير: عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونْ...﴾[2].

يقول الزمخشري، وهذا نوع من اللف لطيف المسلك لا يكاد يهتدي إلى تبينه إلا النقاب المحدث من علماء البيان، وإنما عدي فعل التكبير بحرف الاستعلاء لكونه مضمنا معنى الحمد. ولعلكم تشكرون، وإرادة أن تشكروا.

13- علة مبالغة في الوصف: من ذلك دخول التاء للمبالغة في الوصف كعلامة ونسابه، وراوية وفروقه وملوله.

14- علة تعويض: ومن ذلك دخول تاء التأنيث للتعويض كفزازنة وجحاجحة.

15- علة استحالة وتعذر: ومن ذلك عدم تسويغ ترك المتصل إلى المنفصل يقول: ولأن المتصل أخصر لم يسوغوا تركه إلى المنفصل إلا عند تعذر الوصل، فلا تقول: ضرب أنت لا هو ولا (ضربت أياك) إلا ما شد من قول حميد الأرقط إليك حتى بلغت إياك[3].

---

[1] يوسف/ 185.

[2] البقرة/ 185.

[3] ينظر أبو زيد سالم نادر عطية: الزمخشري وجهوده في النحو، ص 184-185.

16- علة حمل الشيء على نظيره: يقول مثل: الإعطاء والرماء والاشتراء والاحنبطاء وما شاكلهن من المصادر والأدوات، لوقوع (الألف) قبل الأواخر في نظائرهن من الصحاح كقولك الإكرام والطلاب والافتتاح والاخرنجام

17- علة تشبيه: يقول: والوصف بابن وابنة كالوصف بغيرهما إذا لم يقعا بين علمين، فإن وقعا اتبعت حركة الأول حركة الثاني، كما فعلوا في أبنم وامرئ. نقول: يا زيد ابن أخينا

ومن أمثلة علة التشبيه قوله: فالرفع على الفاعلية، والفاعل واحد ليس إلّا، وأمّا المبتدأ وخبره وخبر إنّ وأخواتها ولا التي لنفي الجنس واسم كان وأخواتها، واسم ما ولا المشبهتين بليس فملحقات بالفاعل على سبيل التشبيه والتقريب

ومن ذلك اسم ما و لا المشبهتين بليس يقول: هو في قولك ما زيد منطلقا، ولا رجل أفضل منك، وشبهها بليس في النفي والدخول على المبتدأ و الخبر إلَا أنّ (ما) أوغل في الشبه بها، لاختصاصها بنفي الحال[1]

[1] أبو زيد سالم نادر عطية: الزمخشري وجهوده في النحو، ص، 185 عن الزمخشري: المفصل ص18-28-30-217.

18- علة تأكيد: من ذلك دخول التاء التأكيد معنى الجمع، كحجارة وذكارة، وصفورة وخؤولة وصياقلة وقشاعمة

19- علة استغناء: من ذلك حدف المفعول الأول في قولك ضربت وضربني زيد، فإنك رفعته لايلائك إياه الرافع، وحدفت مفعول الأول استغناء عنه وعلى هذا تعمل الأقرب أبدا، فتقول ضربت، وضربني، قومك

20- علة تجريد: والمراد بالتجريد إخلاؤها من العوامل، يقول: في المبتدأ والخبر وهما الاسمان المجردان للإسناد نحو قولك زيد منطلق، والمراد بالتجريد إخلاؤهما من العوامل التي هي: كان وإن وحسب وأخواتها، لأنها لم يخلوا منها تلعبت بهما وعصيتهما القرار على الرفع.

21- علة الجر لإتاحة المجال لنصب المقسم به بالفعل المضمر:

نحو إلا رب من قلبي له الله ناصح

22- علة تضمين: جاء في تفسر قوله تعالى﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ، وَالله عَلِيمٌ بِالمُتَقِينْ[1] ﴾

يقول: لما جاء في وصف الله عز وجل وعلا بالشكر في قوله: والله شكور حليم. في معنى نوفيه الثواب نفى عنه نقيض ذلك، فإن قلت: لِمَ عدي إلى مفعولين، وشكر وكفر لا يتعديان إلا إلى واحد نقول شكر النعمة وكفرها؟ قلت ضمن معنى الحرمان فكأنه قيل فلن تحرموه بمعنى فلن تحرموا جزاء[2]

[1] آل عمران / 115.

[2] ينظر أبو زيد سالم نادر عطية: الزمخشري وجهوده في النحو ص، 186.

23- علة عدم وجود السببية: نحو قوله وما أحد سببيه أو أسبابه، العلمية فحكمة الصرف عند التنكير كقولك رب سعاد، وقطام لبقائه بلا سبب، أو على سبب واحد إلا نحو أحمر فإن فيه خلاف بين الأخفش وصاحب

24- علة إضمار: يقول: من إضمار المصدر، قولك عبد الله أظنه منطلق، تجعل الهاء ضمير الظن، كأنك قلت عبد الله أظن ظني منطلق

25- علة إسناد: العلة في رفع المبتدأ أو الخبر هو الإسناد

تقول: وكونهما مجردين للإسناد هو رافعهما لأنه معنى قد تناولهما معا تناولا واحدا، من حيث إن الإسناد لا يتأتى بدون طرفين مسند ومسند إليه

26- عله قياس: مثال ذلك منع لوط ونوح من الصرف، يقول: نوح ولوط، وقوم يجرونه على القياس فلا يصرفونه

27- علة دلالة: من ذلك دخول التاء للدلالة على النسب، كالمهالبة والأشاعثة وللدلالة على التعريب كموازجة وجواربة

28- علة سماع: فقد نسب الزمخشري الى سيبويه قوله: وهذه حجج سمعت من العرب يقولون اللهم ضبعا وذئبا. ونسب الى أبي الخطاب أنه سمع بعض العرب وقيل لم أفسدتم مكانكم فقال الصبيان، بأبي أي لُم الصبيان، وقيل لبعضهم أما بمكان كذا وجد فقال بلى وجاذا أي أعرف به وجاذا

29- علة تعويض: مثل تعويض الميم في (اللهم) من حرف النداء يقول: وقد التزم حدفه في اللهم، لوقوع الميم خلفا عنه[1]

[1] ينظر أبو زيد سالم نادر عطية: الزمخشري وجهوده في النحو، ص 187.

30- علة حمل على المعنى: مثل: قوله تعالى ﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ [1]﴾ فقد ذكر فعل الموعظة وهي مؤنثة حملا لها على المعنى وهو الوعظ قال في تفسير هذه الآية: فمن جاءه موعظة، فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربا

31- علة تغليب: مثل قوله تعالى ﴿ وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ القَانِتِينْ ﴾[2]

يقول الزمخشري: فإن قلت: لم قيل (من القانتين) على التذكير؟

قلت: لأن القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين، فغلب ذكوره على إناثه.[3]

---

[1] البقرة / 275 .

[2] التحريم / 12 .

[3] بنظر أبو زيد سالم نادر عطية: الزمخشري وجهوده في النحو، ص. 188.

1- ما قيل عن وجود التعليل النحوي: من يرصد ويتتبع الأسباب التي ذكرها علماء النحو عن التعليل يتعرف على عدة قضايا من بينها:

1-1 كشف حكمة الله في الصيغ وأوضاع الكلام: اللغة بصيغتها ونظمها من وضع واضع حكم جلّا جلاله. فالله أحبَّ بها العربَ، لأنَّ نفُوسهم قابلة لها محسة لقوة الصنعة فيها والقول بحكمة الله يرتبط بالبحث في نشأة اللغة، فتشعبت فيها الآراء وكثرت وجهات النظر وقد فهم العرب من الآية الكريمة ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينْ[1] ﴾ .

دلالة على هذا كما فهمه الغربيون أيضا من سفر التكوين، لكن منذ القرن الثامن عشر لم يعد هذا الرأي ذا قيمة علمية لدى اللغويين المحدثين، إذ كتب (هيردار) في هذا القرن قائلا: « لقد اخترعت اللغة بوسائل الإنسان الخاصة، ولم تبتكر بصورة آلية بطريقة التعليمات الإلاهية، لم يكن الله هو الذي اخترع اللغة للإنسان نفسه هو الذي اضطر إلى اختراعها بطريقة ممارسة لقدراته الخاصة.[2]»

ومع ذلك فإن التعليل لبيان حكمة الله تعليل يشرح الغيب ويفسر المجهول لأن حكمة الله لا تدخل في إمكان الباحث

1-2 أنَّ هذه العلل قد قامت في عقول العرب ونياتهم عند المنطق والنحاة يعللون لما قام في النيات والعقول: وفي هذا الصدد يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي: « إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها وعرفت مواقع كلامها، وقامت في عقولها علله، وإن لم ينقل ذلك عنها واعتللت أنا بما عندي أنه علة لما عللته منه فإن أكن أصبت العلة فهو الذي التمست وإن تكن هناك علة له فمثلي في ذلك رجل حكيم دخل دارا محكمة البناء عجيبة النظم والأقسام، وقد صحت عنده حكمة بانيها بالخبر الصادق أو البراهين الواضحة والحجج اللائحة، فكلما وقف هذا الرجل في الدار على شيء منها قال: إنما فعل هذا هكذا لعلة كذا و كذا ولسبب كذا و كذا. سنحت له وخطرت بباله محتملة لذلك، فجائز أن يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك للعلة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار وجائز أن يكون فعله لغير تلك العلة إلا أن مما ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علة لذلك، فإن، سنح لغير علة لما عللته من النحو وهو أليق مما ذكرته بالمعلول فليأت بها.[3]»

فرأي الخليل في حكمة العرب أن اللغة سليقة وطبيعة الناطق العربي، فالعرب عرفت مواقع كلامها وقامت العلل في عقولها، وما قام به النحاة هو توضيح وتبيين لما قام في العقول لكن الكلام ليس عملا غريزيا كالأكل لكنه سلوك اجتماعي يكتسب بالممارسة والتعلم، وممّن رفض العلة بحكمة العرب ابن مضاء وتؤيده في ذلك الدراسات اللغوية الحديثة.

---

[1] – البقرة / 31 .

[2] – محمد عيد: أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 1989، ص 148 .

[3] – الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، ص 66.

1-3 الإحساس بالخفة أو الثقل والأنس بالشيء: ومن هذا نطرح السؤال الآتي: من يحس بهذا الإحساس أهو الناطق العربي أم الباحث النحوي؟ فنقول الباحث يرجع إليه أمر هذا الإحساس أما الناطق فلا، فمثلا لفظة (ميعاد) لم ينطق بها العرب (موعاد) إطلاقا، فالأمر يعود إلى الإحساس الذي يحس به النحوي أو الذوق الخاص به وذلك كالعدل في (ثعل) و (زحل) و (غدر) و (عمر)، أو (زفر) و (جثم) و (قتم)، فقد قيل لابن جني: « لسنا نعرف سببا أوجب العدل في هذه الأشياء دون غيرها، فإن كنت تعرفه فهاته، فقال: إذا حكمنا ببديهة العقل وترافعنا إلى الطبيعة والحس فقد وفينا الصيغة حقها، وساق العلة بعد ذلك»[1]

1-4 أن العرب قد عللوا لنطقهم وأن النحاة أخذوا عنهم عللهم: وذلك حين حكى الأصمعي عن أبي عمرو وقال: سمعت رجلا من اليمن يقول: «فلان لغوب، جاءته كتابي فاحتقرها، فقلت له، أتقول (جاءته كتابي) قال: نعم أليس بصحيفة؟ »[2]، لكن هذه التعليلات ساذجة لا تقاس بها صنعة النحاة.

[1] – محمود أحمد نحلة: أصول النحو العربي، ص 125.

[2] – ابن جني: الخصائص، ج1، ص 262.

الفصل الثالث

العلة عند ابن جني من خلال كتاب الخصائص

المبحث الأول: العلة عند ابن جني

إن تاريخ نشأة العلة بدأ مع ظهور النحو، فكانت الانطلاقة الأولى على يد عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي مثلها مثل القياس، وبالتالي فالعلة النحوية تعد فرعا من أصل وهو القياس، وليس أصلا قائما بذاته، ولكن النحاة اهتموا بها اهتماما بالغا وأعقبوا بها الأحكام النحوية تفسيرا حيث قاموا بتأليف مجموعة من المصنفات والأعمال النظرية، فعوملت معاملة الأصل، وبذلك أصبحت أصلا من أصول النحو العربي.

والتعليل بصفة عامة نشأ مرافقا لنشأة الإنسان على الأرض، فالإنسان بطبيعته تجده يراقب الظواهر التي تلفت انتباهه فتؤدي به إلى طرح العديد من التساؤلات وتقديم مجموعة من الاستفسارات لمعرفة أسبابها، ولا سيما أن الدين الإسلامي حث الإنسان على إعمال العقل، وذلك من خلال النظر والتدبر في الأشياء الكونية المحيطة به، والمثال على ذلك من قبل النحاة الذين اهتموا أيما اهتمام بمراقبة أواخر الكلمات حيث خلقت اختلافا وتباينا في آرائهم، وهذا ما جعلهم يكشفون سرا من أسرار العربية، وهو أن هذه الحركات ترجع إلى أسباب وعلل تتحكم في تغيرها.

وما يؤكد كلامنا قول صاحب أبو جناح: «إن عملية بناء النحو ونشأته رافقتها نشأة العلل التي يفسر بها النحاة الظواهر اللغوية والنحوية ويردون بها على تساؤلات الدارسين للغة ونصوصها والمعنيين بأمرها[1]».

ومن خلال هذا القول يتضح لنا أن النحو والعلة نشآ معا، ولا يمكننا الفصل بينهما، فظهور الأول حتم ظهور الثاني، وهذه الأخيرة اعتبرها النحاة مصدرا في تفسير الظواهر اللغوية والنحوية، خاصة الإجابة على التساؤلات التي تعترض الدارسين في بحثهم.

[1] أسعد خلف العوادي: العلل النحوية في كتاب سيبويه، دار الحامد، ط1، 2009، ص 21.

1- التعليل النحوي عند ابن جني:

عني أبو الفتح عثمان بن جني في كتابه الخصائص بإقامة هيكل نظري للنحو العربي، يتجاوز توضيح حالات الرفع، والنصب والجر، والجزم إلى اكتشاف ما وراء هذه الحالات من أوضاع ومبادئ[1]، فالخصائص بحث في ما وراء النحو يستهدف الوصول إلى الأصل العميق لتناسق أحكام النحو العربي مع بعضها بعضا على هيئة نظام فائق الدقة، يستثير قرائح المنشغلين به، ولا سيما النحاة إلى محاولة كشف أسراره، وتسبر أغواره، لهذا انتهج ابن جني منهج الفقهاء في استنباط العلل إذ وقع في استقرائه النحو العربي على إشارات متناثرة في كتب النحاة، جمع بعضها إلى بعض بما أوتي من دقة في النظر النحوي وثقافة كلامية فقهية.

فقال عقب تحريره فصولا في العلة النحوية: «واعلم أن هذه المواضع التي ضمنتها، وعقدت العلة على مجموعها، قد أرادها أصحابنا يعني –النحاة– وعنوها، وإن لم يكونوا جاؤوا بها مقدمة محروسة، فإنهم لما أرادوا، وإياها نووا... فالذي يرجعون إليه متفرقا قدمناه نحن مجتمعا»[2].

ومن هذا يبين لنا أن ابن جني قد قام بإنشاء هيكل نظري للنحو العربي يوضح فيه الأسباب التي تؤدي إلى الرفع والنصب والجر والجزم، بل تجاوز هذه الحالات إلى المعنى العميق الذي ينتج من خلال تناسق الأحكام النحوية أو بعبارة أخرى العلاقة الموجودة بين هذه التراكيب التي تحدث انفعالا في نفوس الباحثين من أجل الوصول إلى أسرار وخبايا هذا التناسق، كما نلحظ أن ابن جني قد سار في منهجه على خطى الفقهاء وعلماء الكلام، وكما أننا نجده قد ميز بين العلل اللغوية والفقهية والكلامية.

---

[1] حسن خميس سعيد الملخ: نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، دار الشروق، عمان، ط1، 2000م، ص 65.

[2] ينظر ابن جني، الخصائص، ج1، ص 163.

2- أنواع العلة عند ابن جني:

لقد شغلت العلة الجزء الأكبر من اهتمام ابن جني، فقد تجاوز عدد الأبواب التي درست فيها العلة الأبواب التي درس فيها القياس، كما أنهما يعدان من أهم القضايا أو المواضيع التي تناولها بكثرة وإسهاب في كتابه الخصائص، حيث نجده أنه جعل أكبر باب من أبواب كتابه للكلام عن العلة، وقد خاض في الحديث عن العلل العربية أكلامية هي أم فقهية، وتعرض أثناء ذكر الفرق بين هذه العلل، إلى تعريف العلة فقال: «وذلك أنها إنما هي أعلام وأمارات لوقوع الأحكام»[1]، ومن هنا نرى بأنه يتحدث عن علل الفقه، ويبدو أنه أول من أشار إلى هذا العمل في التفريق بين علل كل علم من العلوم التي تأثر بها في عرض أصوله النحوية، والأنواع الثلاثة هي:

2-1 العلة الفقهية: قال: « وهي أعلام وأمارات لوقوع الأحكام ووجوه الحكمة فيها خفية عنا غير بادية الصفحة لنا»، كترتيب مناسك الحج وكذا فرائض الطهور والصلاة لم جعلت خمس في اليوم والليلة؟ وما حال الحكمة والمصلحة فيها[2].

2-2 العلة النحوية: علل النحويين تختلف عن علل الفقهاء « ذلك أنهم إنما يحيلون على الحس ويحتجون فيه بثقل الحال أو خفتها على النفس»[3]، فهو يرى أن علة النحويين ظاهرة تأنس لها النفس، وذلك أنها تدل على الحقيقة التي يجب أن يكون عليها الكلام العربي كعلة رفع الفاعل ونصب المفعول للفرق بينهما، وأن لا سبيل لعكس الحال لأن فعلهم هذا أحزم « وذلك أن الفعل لا يكون له أكثر من فاعل واحد وقد يكون له مفعولات كثيرة فرفع الفاعل لقلته ونصب المفعول لكثرته وذلك ليقل في كلامهم ما يستثقلون ويكثر في كلامهم ما يستخفون»[4]، فهي علل تجعل الكلام العربي واضحا.

2-3 العلة الكلامية: وهي أقرب إلى علل النحويين تعتمد على البراهين العقلية[5].

---

[1] ينظر ابن جني: الخصائص، ج1، ص 48.

[2] المصدر نفسه: ج1، ص 48.

[3] المصدر نفسه: ج1، ص 48.

[4] ابن جني: الخصائص، ج1 ،ص 49.

[5] ينظر ابن جني: الخصائص، ج1، ص 87 ونظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، حسن خميس سعيد الملخ، ط1، 2000، ص 68.

ويتناول الدارسون في النحو والفقه وعلم النفس وعلم الكلام الحديث عن العلة ويقربون من تشخيص مسلكها إلى النحو دون أن يباشروه.

فعلل النحو في رأي ابن جني –أقرب إلى علل أهل الكلام– منها إلى علل أهل الفقه ووجه رأيه ذاك أمران:

الوجه الأول: أنه يمكن إدراك علة لكل حكم نحوي، وليس كذلك علل الفقه فكثير من أحكامه تعبدي.

الوجه الثاني: وهو مترتب على الأول أن علل النحو ترجع إلى الطبع والحس بخلاف علل الفقه فإنما أمارات للأحكام فقط، فهاتان السمتان في علل النحو يقربانها من علل المتكلمين.

لكن هذا الاتجاه لا يستمر على إطلاقه عند ابن جني إذ تُفاجؤنا عبارته: «وكذلك كتب محمد بن الحسن – صاحب أبي حنيفة– إنما ينتزع أصحابنا النحاة منها العلل، لأنهم يجدونها منثورة في أثناء كلامه»[1]، ومن هنا يتبين لنا أن هذا الإتجاه لا يقتصر على ابن جني فقط، بل يتعدى ذلك ومن خلال عبارته المذكورة سالفا نجد أن العلل تكون مطروحة وموجودة أثناء العملية الكلامية.

بالإضافة إلى أنه يعود مرة ثالثة فيتوسط في الأمر ويذكر أن علل النحو ضربان: واجب لا بد منه، لأن النفس لا تطيق في معناها غيره، وهذا لاحق بعلل المتكلمين، والآخر يمكن تحمله لكن على استكراره وهذا لاحق بعلل الفقهاء، ويضرب للتعليل الأول مثلا بقلب الألف واواً للضمة قبلها، والثاني بقلب الواو ياء بعد الكسرة مثل: (عصافير) إذ يمكن أن تنطق (عصافوُر) لكن على استكراه[2].

[1] ابن جني: الخصائص، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ج1، ص 191.

[2] المصدر نفسه، تحقيق علي النجار، ج1، ص 48، 144، 145، 163.

3- العلة الموجبة والعلة المجوزة:

وهما مصطلحان استخدما في التعبير عن أنواع العلة باعتبار آخر لدى ابن جني، وعقد لهما باب للفرق بينهما:

3-1 العلة الموجبة: وهي العلل الواجبة الحكم المستنبطة من كلام العرب، ولا مناص من الخروج عنها، مثل وجوب رفع الفاعل ونصب المفعول وجر المضاف[1] «فعلل هذه الداعية إليها موجبة لها غير مقتصرة بها على تجويزها وعلى هذا مقاد كلام العرب»[2]، ومن هنا يتضح لنا أن أحكام رفع الفاعل، ونصب المفعول، وجر المضاف، هي موجبة يكون مبناها على الإيجاب بها، وهذا ما كان عليه كلام العرب.

3-2 العلة المجوزة: وهي العلل التي تؤدي إلى التخيير بين حكمين نحويين أو أكثر، وتجيز الوجهين أو الثلاثة، فهي مجوزة لوجه غير نافية لغيره ومن أمثلة ذلك، عندما تقع النكرة بعد المعرفة التي يتم الكلام بها، وتلك النكرة –إن شئت– حالا، و–إن شئت– بدلا، فتقول على هذا: «مررت بزيدٍ رجلٍ صالح» على البدل، وإن شئت قلت: «مررت بزيد رجلاً صالحًا» على الحال.

أفلا ترى كيف كان وقوع النكرة عقب المعرفة على هذا الوصف علة لجواز كل واحد من الأمرين، لا علة لوجوبه، ونذكر مثالا آخر: قلب واو (وُقتت) همزة أي (أقّتت)، فيقول ابن جني: «أن الواو انضمت ضما لازما وأنت مع هذا تجيز ظهورها واوا غير مبدلة، فتقول (وُقتت) فهذه علة الجواز إذا لا علة الوجوب».

---

[1] سليم عواريب: علم أصول النحو ومصطلحاته في كتاب الخصائص لابن جني، ط1، 2010، ص 138.

[2] ابن جني: الخصائص، تحقيق النجار، ج1، ص 164.

وقد رأى ابن جني أن علل النحو على ضربين:

الضرب الأول: العلل التي تؤدي إلى إيجاب حكم نحوي ثبت بالسماع المطرد عن العرب كعلل رفع الفاعل، أو نصب المفعول، أو جر المضاف إليه، لأن هذه العلل –أيا كانت– لن تؤدي إلّا إلى إيجاب رفع الفاعل ونصب المفعول وجر المضاف إليه، ومن ثم فهي علل موجبة بالاستنباط لا بالسبق الوجودي على المعلول، وهذا هو المفهوم النحوي للعلل الموجبة[1].

أما **الضرب الثاني:** فهي العلل التي تؤدي إلى التخيير بين حكمين نحويين أو أكثر وتجيز الوجهين أو الثلاثة، فهي موجزة لوجه، غير نافية لغيره، كما في قول ابن جني: «ومن علل الجواز أن تقع النكرة بعد المعرفة التي بها الكلام، وتلك النكرة هي المعرفة في المعنى، فتكون حينئذ مخيرا في جعلك النكرة أن شئت حالا، وإن شئت بدلا، فتقول على هذا: « مررت بزيدٍ رجلٍ صالحٍ» على البدل أو: «مررت بزيد رجلاً صالحاً» على الحال[2]، ويسمي ابن جني العلة الموجزة سببا، فالعلة هي التي توجب الحكم النحوي، وتنفي غيره، والسبب هو الذي يجيز الحكم النحوي، ولا ينفي غيره، ولكن النحاة في عمومهم يدخلون السبب في دائرة العلة، ويجعلونه مرادفا لمصطلح العلة.

ويرى ابن جني أن العلة النحوية ليست مطلقة بل هي مقيدة بالوصف أو التخصيص، وإلا تخلفت في بعض المواضع عن معلولها، وقصرت عن الجري معه على نهج واحد[3]، فالاحتياط أو التقييد في العلة بالوصف أو التخصيص يطوي الحالات النائية عن العلة تحت جناحها. كما في عدّ الفاعلية علة الرفع إذ تخرج عن هذه العلة الأسماء المبنية، والجمل المصدرية، لأنها ليست مرفوعة حقيقة، لهذا ينبغي تقييد علة الفاعلية بأنها علة رفع الفاعل حقيقة نحو: جاء زيدٌ، أو محلاً نحو: جاء هذا، أو تقديرا نحو: يشرفني أنني تلميذك.

---

[1] حسن خميس سعيد الملخ: نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين ط1، ص 66.

[2] ينظر ابن جني: الخصائص، ج1 ص 145- 146.

[3] حسن خميس سعيد الملخ : نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، ط1، ص 66-67.

ويرى ابن جني أن إهمال تقييد العلة يؤدي إلى القدح بها، وردها لأن مجموع ما يورده المعترض على العلة لا يخرج عن عدم استتباب حدها مع معلولها أو عدم انطباق وصفها على المعلول بها[1].

فالخلاف النحوي في وجه من وجوهه ناتج عن عدم تقييد العلة، فعلل النحاة على اختلافهم متقاربة في المسألة الواحدة، لكن شرود شواهد مسموعة عن العرب عن بعضها أشعل الخلاف بينهم وغذاه، فاحتيج إلى رأب صدع الخلاف بتقييد العلة، فالخلاف بين النحاة أعم منه بين العرب لأنهم «اختلفوا في الإعتلال لِما اتفقت العرب عليه، كما اختلفوا أيضا فيما اختلفت العرب فيه، وكل ذهب مذهبا وإن كان بعضه قويا، وبعضه ضعيفا»[2].

ووصف العلة أو تخصيصها في مواضع محددة تتميم لها، وليس من قبيل تعليل العلة لأن العلة –كما يرى ابن جني– لا تعلل، فما سماه ابن السراج بعلة العلة يعده ابن جني تتميما للعلة وشرحا لها لا تعليلا للعلة[3] مع إقرار ابن جني بأن العلة قد تتعدد بتعدد جهات تعليل المعلول.

وتعدد العلل له صورتان:

الأولى: الحكم الواحد تتجاذبه علتان أو أكثر مثل الاختلاف في رفع المبتدأ [4] أو رفع خبر إن، مما يتجاذب الخلاف في علله والحكم واحد[5].

والثانية: الحكمان في الشيء الواحد المختلفان، دعت إليهما علتان مختلفتان وذلك كإعمال أهل الحجاز ما النافية للحال، وترك بني تميم إعمالها، و إجرائهم إياها مجرى «هل» ونحوها مما لا يعمل، فكأن أهل الحجاز لما رأوها داخلة على المبتدأ والخبر دخول «ليس» عليهما ونافية للحال نفيها إياها، أَجْرَوْها في الرفع والنصب مجراها، إذا اجتمع فيها الشبهان بها، وكأن بني تميم لما رأوها حرفا داخلا بمعناه على الجملة المستقلة بنفسها ومباشرة لكل واحد من جزأيها كقولك: ما زيد أخوك، وما قام زيد، أجروها مجرى «هل» ألا تراها داخلة على الجملة بمعنى النفي دخول «هل» عليها للاستفهام ولذلك كانت عند سيبويه لغة التميميين أقوى قياسا من لغة الحجازيين»[6].

---

[1] حسن خميس سعيد الملخ: نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، ط1، ص 67.

[2] ابن جني: الخصائص، ج1، ص 152.

[3] حسن خميس سعيد الملخ: نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والنحدثين، ط1، ص 67.

[4] المصدر نفسه، ط1، ص 67.

[5] المصدر نفسه، ظ1، ص 67.

[6] ينظر ابن جني: الخصائص، ج1، ص 194.

4- الإحتياط في العلة:

والاحتياط «هو فعل ما يتمكن به من إزالة الشك وقيل: التحفظ والاحتراز من الوجوه لئلا يقع في مكروه... وقيل هو الأخذ بالأوثق من جميع الجهات »[1]، ويريد به ابن جني أن القائل اضطر إلى تخصيص العلل لأنه لم يحتط في وصف العلة، ولو قدم الاحتياط فيها لأمن الاعتذار بتخصيصها، وذلك عند قوله في علة قلب الواو والياء ألفا، كما أن الواو والياء متى تحركتا وانفتح ما قبلهما قلبتا ألفين نحو: قام وباع لكن يقال له قد صحتا في نحو غزوا ورميا، فكأن المعلل لم يحتط، ويقول ابن جني وإنما الأصل «أن نقول في علة قلب الواو والياء ألفا أنهما متى تحركتا حركة لازمة وانفتح ما قبلها وعري المواضع من اللبس أو أن يكون في معنى ما لابد من صحة الواو والياء فيه أو أن يخرج على الصحة منبهة على أصل بابه فإنهما يقلبان ألفا»[2].

5- العلة وعلة العلة وتتميم العلة:

فالعلة وعلة العلة هو عنوان باب عقده ابن جني، وأصل مصطلح (علة العلة) لابن السراج [3]، وقد مثل لذلك برفع الفاعل في السؤال عن علة رفعه فيقال ارتفع بفعله فإن قيل: ولم صار الفاعل مرفوعا؟ فهذا سؤال عن علة العلة، أما ابن جني فيسميها شرحا وتفسيرا وتتميما للعلة، وإن تسمية ابن السراج إنما هي تجوز في اللفظ، وكان يجب على المجيب عندما سئل لم ارتفع الفاعل أن يجيب بقوله: «إنما ارتفع لإسناد الفعل إليه فكان مغنيا عن قوله: إنما ارتفع بفعله... وكان يجب على ما رتبه أبو بكر أن تكون هنا علة وعلة العلة وعلة علة العلة»[4]، فمن خلال هذا القول نستنتج أن علة رفع الفاعل سببها هو الفعل الذي دخل عليه فرفعه، أي أن هناك علاقة إسنادية بين الفعل وفاعله.

---

[1] أبو البقاء الكفوي: الكليات، ط2، ص 56.

[2] ابن جني: الخصائص، ج1، ص 180.

[3] سليم عواريب: علم أصول النحو ومصطلحاته في كتاب الخصائص لابن جني، ط1، ص 139.

[4] ابن جني : الخصائص، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ج1، ص 200.

- الـــــــدور:

الدور لغة يدل على إحداق الشيء بالشيء من حواليه: يقال دار يدور دوراناً[1].

أما اصطلاحا فيظهر أن ابن جني قد وظفه بمفهومين اثنين أحدهما يتفق ومفهوم المتكلمين والصوفيين[2] بينما يتفق الثاني مع مفهوم الفقهاء، فالمفهوم الأول عقد له ابن جني بابا سماه (في دور الاعتلال)، ويصف هذا المفهوم فيقول: «ذهب محمد بن يزيد [المبرد ت 285 هـ] في وجوب إسكان اللام في نحو ضربن وضربت حركة الضمير من نحو هذا إنما وجبت لسكون ما قبله، فتارة اعتل هذا بهذا ثم دار تارة أخرى فاعتل لهذا بهذا»[3]، أي يعلل سكون الباء بحركة الضمير (الفتحة) لكي لا يتوالى ثلاث حركات ثم يعلل حركة الضمير بالسكون على الباء التي قبلها، فالدور إذن «هو توقف كل واحد من الشيئين على الآخر»[4]، أو كما لمّح ابن جني إلى أنه تارة يعتل للأول بالثاني ثم يدور تارة أخرى فيعتل للثاني بالأول، وبالرغم من هذا فقد عد ابن جني مذهب المبرد شنيع الظاهر، ثم نراه يستخدم المصطلح في باب: (الدور والوقوف منه على أول رتبة) وبنسبه إلى أبي حنيفة مما يدل على أن المصطلح فقهي «وذلك أن تؤدي الصنعة إلى حكم ما مثله مما يقضي التغيير فإن أنت غيرت صرت أيضا إلى مراجعة مثل ما منه هربت فإذا حصلت على هذا وجب أن تقيم على أول رتبة ولا تتكلف عناءً ولا مشقة»[5] أي أن يؤدي بك تصريف الكلمة الواحدة عبر مراحل إلى حالتها الأولى ومثّل لذلك بـ(قويت) إذا أردت أن تبني منها مثل رسالة «فتقول في التذكير: قواءة وعلى التأنيث قواوة» أما في جمعها فتقول قواوٍ «فتجمع بين واوين مكتنفتي ألف التكسير ولا حاجز بين الأخيرة وبين الطرف وأما وزن (قواوة) فهو (فعالة) من القوة فإن الأصل فيها بالهمز: قواء ثم يلزمك ثانيا أن تبدل من هذه الهمزة الواو»[6].

---

[1] سليم عواريب: علم أصول النحو ومصطلحاته في كتاب الخصائص لابن جني، ص 139.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص 139.

[3] ابن جني: الخصائص، ت النجار، ج1، ص 183.

[4] أبي البقاء الكفوي: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ط2 – 1998 م، ص 447.

[5] ابن جني، الخصائص، ت النجار، ج1، ص 208.

[6] المصدر نفسه، ج1، ص 209.

الخاتمة

خاتمة:

من خلال هذا البحث المتواضع، نرجوا أن يكون ذا قيمة و أهمية بالغة لدى الدارسين و المهتمين بمثل هذه الموضوعات التي تطرقنا لواحدةٍ منها في دراستنا، و تتمثل في دراسة العلة النحوية عند ابن جني من خلال كتابة الخصائص.

ومن خلال دراستنا لهذا الموضوع تمكنا من حصدِ مجموعة من النتائج و الأفكار التي لا ندعي بأننا أول من وصل إليها، وهي كالآتي:

1. إن العلة النحوية تعد موضوعا مهما في اللغة العربية، فنجد أن أغلب النحاة تحدثوا عنها في مؤلفاتهم سواءًا القدامى أو المحدثون، على الرغم من اختلاف آرائهم و أفكارهم في تقسيمهم لأنواعها.
2. لقد أعطى ابن جني اهتماما كبيرا لمصطلح العلة، فتوسع فيها، و عقد لها أبوبا كثيرة فاقت أبواب السماع و القياس حتى تكاد أن تكون أصلا من أصوله و بذلك عُدّ أول فصل فيها.
3. إن ابن جني من العلماء الذين تميزوا عن غيرهم بالنظر الثاقب و التفحص الدقيق فقد كان نحويا و لغويا و أديبا و شاعرا و فقيها أيضا، وبذلك نجده متأُثرا بالمذهب الكلامي، فاتسم فكره بمظاهر ثلاث: المظهر اللغوي والمظهر الفقهي والمظهر الكلامي.
4. كتاب الخصائص من أمهات الكتب اللغوية التي كانت منهلا غزيرا يغرف منه الكثير من النحاة و الباحثين، وذلك لأن موضوعاته فريدة من نوعها.
5. لقد اعتمد ابن جني في منهجه على طريقة القدامى التي كانت تتميز بسمة الوصف و التحليل.
6. إن فكرة اختلاف الآراء النحوية ناتجة عن عدم تقييد العلة، فعلل النحاة على اختلافهم متقاربة في المسألة الواحدة، لكن شرود شواهد مَسْمُوعةَ عن العرب عن بعضها أَشْعَلَ الخلاف بينهم.
7. يؤكد ابن جني على أن العلة لا تعلل، فوصف العلة أو تخصيصها في مواضع محددة تَتْمِيمٌ لها على خلاف ما سماه ابن السراج بعلة العلة.
8. يجزم ابن جني على أن العلة النحوية ليست مطلقة بل هي مقيدة و هذه الأخيرة تكون إما بالوصف أو التخصيص.
9. إن ابن جني قد بحث عن مكان لعلل النَحْويين علل المتكلمين، وعلل الفقهاء و أكد بأن علل النحو ليست كعلل الفقهاء لأنها مبنية على النص و وجه المصلحة على عكس علل المتكلمين التي تبرهن عقليا، فهي بذلك أقرب إلى علل الفريق الثاني(المتكلمين).

10. ذهب ابن جني إلى أن علل النحويين مثل علل الفقه، و يرى أنها علل تتميز بسمة التخصيص، أي أنها ليست مطلقة بل هي مقيدة حتى لا يقدح فيها إذا خرجت و تخلفت عن معلولها.

11. يتضح لنا أن ابن جني قد قسم العلة إلى ضربين الأولى موجبة وهي التي تؤدي إلى إيجاب حكم نحوي ثبت بالسماع المطرد عن العرب أما الثانية فهي مجوزة التي أساسها التخيير بين حكمين نحويين أو أكثر.

12- نستنتج أن العلة عند ابن جني معقدة ومستعصية تميل إلى العمق والتفصيل أكثر لأنه تأثر بعلم الكلام وعلم اللغة إلا أن ابن السراج لا يعطيها تعريفا مباشرا أما الزجاجي فيعطيها تعريفا واضحا ومباشرا وهذا راجع إلى تأثره بالفلسفة و المنطق.

13. لقد ميز ابن جني بين مصطلحي العلة و السبب، فجعل لكل مصطلح فرعا من الضربين فسمى العلة المجوزة سببا والعلة الموجبة علة.

وفي الأخير يمكننا القول بأن هذه معظم النتائج التي توصلنا إليها من خلال بحثنا هذا، إلآ أن البحث لم يكن ملما بكل التفاصيل المتعلقة بهذا الموضوع، و لذا فهو يبقى مفتوحا لمزيد من البحث و الدراسة و التعمق فيه.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم برواية حفص

1- أسعد خلف العوادي: العلل النحوية في كتاب سيبويه، دار الحامد، عمان، الأردن ط1، 2009م

2- ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، المكتبة العصرية، بيروت، (د، ط)، 1968م

3- ابن الأنباري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، مكتبة المنار، (د، ط)، 1985

4- أبو البقاء الكفوي: الكليات، مؤسسة الرسالة، (د، ط)، (د، ت)

5- ابن جني: الخصائص، تحقيق علي النجار، المكتبة العلمية، ج1، (د، ط)، (د، ت)

6- ابن جني: الخصائص، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ج1، ط2، 2003م

7- حسن خميس سعيد الملخ: نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، دار الشروق، عمان، ط1، 2000م

8- الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط3، 1979م

9- الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، دار النقاش، بيروت، لبنان، ط1، 1974م، ط5، 1986م

10- أبو زيد سالم نادر عطية: الزمخشري وجهوده في النحو، دار جرير، عمان، الأردن، ط1، 2010م

11- سليم عواريب: علم أصول النحو ومصطلحاته في كتاب الخصائص لابن جني، دار غرناطة، باب الوادي، الجزائر، ط1، 2010م

12- سيبويه: الكتاب، مطبعة بولاق، مصر، ج1، (د. ط)

13- السيوطي: الإقتراح في أصول النحو، دار الاكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د. ط)، 1998م

14- السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999م

15- عبد الفتاح الدجني: ظاهرة الشذوذ في النحو العربي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1974م
16- فاضل صالح السامرائي: ابن جني النحوي، دار النذير، ط1، 1969م
17- القفطي: إنباه الرواة، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، (د. ط)
18- مازن المبارك: النحو العربي العلة النحوية نشأتها وتطورها، دار الفكر، مصر، ط3، 1881م
19- ابن مالك: شرح التسهيل، (د. ط)، 1990م
20- المبرد: المقتضب، القاهرة، مصر، ط2، 1979م
21- محمد عيد: أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 1989م
22- محمود أحمد نحلة: أصول النحو العربي، دار المعرفة، (د. ط)، 2000م
23- ابن منظور: لسان العرب، مادة (علّ)، دار لسان العرب.
24- ابن منظور: لسان العرب، مادة (خصص).
25- ابن النديم: الفهرست، دار المعارف، بيروت، لبنان، ط1، 1994م.
26- ناجي معروف: أصالة الحضارة العربية، (د. ت)، (د. ط).
27- ياقوت الحموي: معجم الأدباء، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ط)، 1991م.
28- ياقوت الحموي: معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1993م.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

1- مقدمة.....أ

الفصل الأول" ابن جني وكتابه الخصائص"

المبحث الأول : ابن جني.....1
1/ ابن جني:.....1
1-1/اسمه ونسبه.....1
1-2/ مولده ووفاته.....1
1-3/ نشأته ومؤلفاته.....2
1-4/ شيوخه.....2. 3
1-5/ معاصروه..... .....4. 5
1-6/ تلامذته.....6. 7
1-7/ أعماله ومؤلفاته.....8. 9
2-1/ مذهبه النحوي.....10
2-2/ عقيدته.....11
2-3/ مذهبه الفقهي.....11
المبحث الثاني: كتاب الخصائص.....12
1/ كتاب الخصائص.....12
2/ عنوانه 13
3/ هدف تأليفه.....14
4/ مباحثه.....15. 16
5/ منهجيته.....17

الفصل الثاني "العلة النحوية قبل ابن جني"

المبحث الأول: ماهية العلة.....19
1/ تعريف العلة:.....19
1-1/ لغة.....19

1-2/ اصطلاحا 20. 21
العلة النحوية قبل ابن جني.....21. 25
1-3/ طبيعة العلة النحوية.....26
المبحث الثاني: أنواع العلل عند بعد النحاة 27
1-1/ أنواع العلة عند الزجاجي.....27. 29
1-2/ عند الزمخشري.....30. 36
1/ ما قيل عن وجود التعليل النحوي .....37.
38

الفصل الثالث " العلة النحوية عند ابن جني"

المبحث الأول: العلة عند ابن جني.....40
1/ التعليل النحوي عند ابن جني 41
2/ أنواع العلة عند ابن جني.....42. 43
3/ العلة الموجبة والعلة المجوزة.....44. 46
4/ الإحتياط في العلة..... 47
5/ العلة وعلة العلة وتتميم العلة.....47
6/ الدور 48
الخاتمة.....
قائمة المصادر والمراجع.....
فهرس الموضوعات.....